

آن هامبسون

المجهول الجميل

١ ـ رسالة من جزيرة

كان المشهد الذي تطل عليه غرفة نوم جودي واحداً من اجمل الاماكن في منطقة دورست. وبدت قرية ايست مالدون بعيدة عن ضجيج الحضارة حيث احاطتها التلال المنخفضة. كما كانت منعزلة عن مدينة بريدبورت الساحلية القريبة، خاصة عند اكتظاظها بالسواح في شهور الصيف. كانت جودي، ولفترة قصيرة مضت، قادرة على تثمين المشهد وحظها الحسن لعيشها في قرية هادئة لا تزال الماشية ترعى قريباً منها، وبحصرها القديم المطل على النبع الجميل والبرج الملحق ببيت والدها المبني في القرن السابع عشر.

والآن، اذ وقفت قرب النافذة محدقة في التلال الترابية، لم تر شيئاً يسرّها اذ كان ذهنها منصرفاً الى ما جرى منذ لحظات في غرفة الجلوس

في الطابق الارضي. كان مشهداً مألوفا ينتهي دائماً بالطريقة ذاتها. . . حيث يبدو على والدها الاحساس بالذنب، وزوجة والدها محمرة الوجه غيظاً.

وجودي على وشك البكاء. استدارت ببطء اذ سمعت اقتراب خطوات والدها من غرفتها. وقالت جودي حلما دخل والدها الغرفة:

- كان عليك البقاء الى جانبها.

اغلق الباب وراءه ثم تقدم نحوها:

- جودي، عزيزتي، اغفري لي خطأ الزواج منها.

فقاطعته جودي قائلة:

- من الافضل عودتك اليها اذ انك تعلم جيداً بانها ستتهمك باغتيابها.

تجاهل والدها ذلك وجلس على حافة السرير، بدا متعباً مقطب الجبين وهو يقول:

- فكرت باننا كنا سعداء حتى السنة الماضية. عشت بدون زوجة مدة عشرين عاماً اي منذ ولادتك، ثم ارتكبت الخطأ الفادح في العام الماضي.

وتنهد بعمق مضيفاً.

- هناك مثل يقول. . . ليس هناك اسوأ من احمق عجوز.

جلست الى جانبه ثم قالت بحنان:

- انك لست عجوزاً يا عزيزي. انك في الخامسة والاربعين فقط وهي افضل سنوات حياة الرجل.

- اشعر بانني عجوز يا جودي. كنا سعيدين جداً سوية. لم فعلت ذلك؟ وماذا عنك؟ يقال بأن للمرأة القدرة على التنبؤ بما سيحدث! هل أحسست في البداية ان الزواج سيفشل؟

- قبل ان تتزوجها؟

أومأ برأسه ايجاباً فاستمرت مواصلة:

- ليس من حقي التعبير عن رأيي بأليس يا والدي. انك زوجها ولابد ان هناك ما جمعكما سوية في البداية. وكما قلت عدة مرات هناك احتمال كبير ان تسود السعادة حياتكما لو لم أكن معكما. واذا غادرت ابنة اليس المكان يتوجب علي المغادرة ايضاً.

- حنة...

لفظ والدها الاسم بمرارة ولم تجد جودي صعوبة في قراءة افكاره.

كان والد حنة قادراً مادياً على ارسال ابنته الى مدرسة خاصة للتمثيل الا انه توفي قبل ان تشتهر. بل كانت ممثلة صغيرة أدت ادواراً لم يلحظها أحد.

قال والد جودي:

- لم تواصل والدتها الحديث عن شهرتها المفاجئة؟ كان الحظ سبباً رئيسيا في اختيارها بطلة لذلك الفيلم. وعلى اي حال، لم يعرض الفيلم بعد ليتعرض لنقد الجمهور والنقاد. اذ قد تكون حنة أقل موهبة وشعبية مما تتوقع والدتها.

أجابته جودي باخلاص:

- انها عملت بجد لتناله.

قطب والدها جبينه:

- انها ليست فتاة لطيفة. من الغريب انني ظننت ذلك خاصة عند بدء معرفتي بوالدتها.

وارادت جودي القول بأن الأم سلكت السلوك ذاته الا انها كبحت رغبتها في لفظ شيء قد يسيء الى الموقف والى والدها. ورغم شكوكها بصحة موقف والدها الا انها لم ترغب الطعن بزواجه. جلس صامتاً بطريقة ذكرتها بما حدث ذات يوم حين علمت حنة بأنها ستحصل على دور البطلة في فيلم فرانز جيتيرفر «فانتازيا الغسق»، فقالت لجودي:

- جودي لانكهام... يا له من اسم يصلح لنجمة سينمائية.... جودي ما رأيك لو استخدمت اسمك بدلا من

اسمي؟

لم تلق الفكرة ترحيباً لدى جودي، اذا بدا لها استخدام اسمها مماثلاً لتغيير هويتها. واذ لاحظت حنة ترددها اضافت باسلوبها الساخر:

- ليس هناك ما يمنع اختياري اي اسم ارغب فيه... الا انني افضل اسمك كما ارغب بالحصول على موافقتك.

بمعنى آخر ارادت حنة استخدام اسمها سواء رغبت في ذلك ام لا.

ودفعاً للملابسات منحت جودي موافقتها. منذ ذلك الحين اصبحت حنة سميث تدعى جودي لانكهام، بطلة فيلم صوّر في جزيرة في جنوب المحيط الاطلسي.

نظرت جودي الى والدها الذي بدا متعزلاً الى حد احست فيه بالعطف عليه فأحاطته بذراعيها.

- تلك المشادة العنيفة... ما الذي ستجنيه أليس من اختلاقها مشادة كهذه؟ ما الذي يدفعها الى ذلك؟

- ربما كان السبب حدّة طبعها.

وتنهدت جودي متذكرة كلمات اليس:

- انظر الى ابنتي! ممثلة فيلم مشهور، ولكن ماذا عن ابنتك؟

لو لم تكن غبية في دراستها لتمكنت من دفع مبلغ كاف لطعامها وسكنها... انها طفيلية في سلوكها.

فردّ والدها بغضب:

- توقفي عن الكلام! تركت ابنتي المدرسة لانني كنت مريضاً وظن الجميع انني على وشك الموت. كان مرضاً مزمناً وقال الطبيب بانني لن امشي ثانية. كانت جودي متقدمة في دراستها الا انها لم تتردد لحظة واحدة في ترك المدرسة من اجل الاهتمام بي. وحتى بعد ان استعدت صحتي لم استطع العمل فترة طويلة لذلك عملت جودي لاعالتنا سوية. لذلك تجدينها الآن تمارس عملاً لا مستقبل له. وانت

تعلمين ذلك جيداً، فلم تواصلين الحديث عنه . . . لماذا؟
- في امكانها الحصول على عمل افضل لو حاولت جدياً . . . اذ ان ما تعطيني اياه لا يكفي . . .
- لكنني اعطيك الكثير . . . اليس كذلك؟
وبان الغيظ واضحاً على وجهه حتى ظنت جودي انه سيضرب زوجته.
غادرت اليس المكان متوجهة الى المطبخ بعد ان صفقت الباب خلفها بعنف اسقط احد التماثيل الخزفية الصغيرة على الارض فتناثر قطعاً صغيرة.
قطبت جودي جبينها اذ رأت نظرة والدها الى التمثال وانحناءه لتجميع القطع.
كان التمثال ملكاً لزوجته الاولى وكانت قد ورثته من جدتها.
تكلمت جودي اخيراً بعد ان نهضت عن السرير وتحركت نحو وسط الغرفة.
- يجب ان اجد وسيلة للعثور على مكان آخر يا والدي. ان اليس محقة حين تقول بانني لا اساهم بما فيه الكفاية بمصروف البيت. الا انني لا استطيع الدفع اكثر لضآلة راتبي ولتكلفة المواصلات. ولكن لو استطعت العثور على غرفة قريبة من مكان العمل لاستطعت ترتيب وضعي بشكل أفضل.
ونظرت اليه بعينين كساهما الحزن والندم:
- إن وضعنا المالي سيء يا والدي. اذ انني لا ادفع ما يكفي لأليس وفي الوقت نفسه لا يبقى لي ما استطيع ادخاره بسبب المصاريف التي ذكرتها.
- سأعيد ما قلته من قبل . . . انني أعطيها الكثير.
- وستبقى تعطيها المبلغ نفسه بعد مغادرتي.
كان والدها يمنح أليس كل راتبه باستثناء القليل للمواصلات ولشراء صحيفة يومية، كما تفعل جودي.

احنى بيل رأسه فاحست جودي بالأسف الشديد لأمه. يا له من ثمن يدفعه خطأ زواجه من اليس سميث الجميلة الشقراء! أحب والدها اليس حين بدأت العمل ككاتبة على الآلة الطابعة في المؤسسة التي عمل فيها ككاتب بسيط. وكما قال، كان سعيداً في حياته مع جودي وظن ان سعادته ستدوم حتى بعد الزواج. اذ كانت جودي مستعدة لتقبل أم وشقيقة لها. وكان بيتهم واسعاً له ثلاث غرف نوم جميلة وغرفتان للجلوس والاستقبال تطل احداهما على الحديقة الكبيرة والاخرى على المنحدر الاخضر. ولم تبق معهم فترة طويلة اذ استأجرت شقة في لندن غادرها مالكها للعمل في الخارج مدة عام.

وارتجف صوت بيل متسائلاً:

- هل أنت جادة فيما تقولينه يا جودي؟ هل تريدين مغادرة المكان فعلاً؟

- إنني لا اريد مغادرة البيت يا عزيزي ولكن يجب علي ذلك. وانت تفهم طبيعة الامر جيداً. اذا غادرت ستتاح لك ولأليس فرصة أفضل لتحسين حياتكما.

- هل تصدقين ما تقولينه فعلاً؟

تنهدت جودي وتحاشت الحديث عن زوجة والدها بهذه الطريقة. اذ انها كانت تأمل ان يتحسن الوضع بين الزوجين بعد مغادرتها البيت.

- ان الوضع صعب بالنسبة الينا جميعاً.. يجب ان اذهب يا والدي.

اومأ برأسه ايجاباً:

- سآتي لزيارتك بانتظام يا عزيزتي.. وأنت هل تأتين لزيارتنا احياناً؟

- بالطبع. كما تفعل حنة.

- حنة؟ (ردد والدها مكتئباً) يبدو انها تحظى بكل شيء بينما حرمت أنت من كل شيء.. هذا ليس عدلاً يا جودي.

قالت جودي :

ـ انني لا أحسدها ابداً.

وبدت الصراحة واضحة في عينيها الجميلتين:

ـ تمثل حنة النجاح بينما امثل انا الفشل، ويجب علينا الاقرار بذلك.

نظر اليها والدها متفحصاً ثم نهض واقفاً واقترب منها واضعاً يديه على كتفيها:

ـ لا يزال الطريق طويلاً امامك قبل ان تقرّي بفشلك في الحياة. ثم بأي المقاييس تقدّرين نجاحك او فشلك؟ أهو المال؟ ام الشهرة؟

وهز رأسه نافياً:

ـ كلا يا عزيزتي، يتحقق النجاح في الحياة اذا ما استطعنا ادخال السعادة الى قلوب الآخرين. واستطعت انت اشعاري بالسعادة فترة طويلة من حياتي. ومهما حدث الآن لا زلت أملك ذكرياتي الجميلة.

وجمدت جودي في مكانها اذ فتح الباب فجأة ولم يسمع الاثنان خطوات أليس على السلّم. فجذب بيل يديه عن كتفي جودي وابتعدت جودي عنه بشكل لا ارادي بينما كان الغضب واضحاً على وجه اليس.

ـ افترض انكما تتحدثان عني؟

وخرق صوتها الاجش هدوء الغرفة الوردية الجميلة، غرفة جودي المعدّة لها منذ زمن لم تعد تذكره.

ـ هل تخططان للتخلص مني؟ حسناً في مقدوركما التآمر حتى يوم القيامة ولن تستطيعا ابعادي عن هذا البيت. انه بيتي واذا لم يعجبكما الحال تستطيعان مغادرته.

ثم اغلقت الباب وراءها بعنف تاركة جودي مرتعشة ووالدها شاحبا من شدة غضبه.

ـ نغادر البيت؟ هل تعتقد حقاً ان في مقدورها الاستيلاء على بيتنا؟ وتوسلت جودي والدموع تملأ عينيها.

ـ اذهب اليها. انا سبب المتاعب في البيت يا والدي وكلما اسرعت بمغادرة البيت، كان الامر أفضل لنا.

اومأ برأسه ثم هز كتفيه استسلاماً وترك الغرفة.

قررت جودي حسم وضعها بأسرع ما يمكن، وقضت ساعات غدائها في الايام المقبلة باحثة عن غرفة في دورجستر حيث كانت تعمل. الا انها بدأت تفقد الأمل عند نهاية الاسبوع. وعند انقضاء اسبوع آخر دون تحقيق مآربها فقدت أملها نهائيا. كانت الغرف المعروضة للايجار غالية الثمن وما كان في مقدورها دفع ايجارها اضافة الى المصاريف الاخرى. وكلما أخبرت والدها عن فشلها في سعيها كلما بدت على وجهه دلائل الراحة وخيبة الأمل في آن واحد. اذ اختلطت مشاعره في انتظار مغادرتها. . .

ذات مساء جلست جودي ووالدها وحدهما بعد ان ذهبت أليس لزيارة شقيقتها في بريدبورت، وساد بينهما جو من الإلفة ذكرهما بأيامهما السعيدة معا.

ـ يجب ان اترك البيت. اعرف اننا نشعر بالأسف لفكرة الفراق الا انه أفضل للجميع. واذا ما تركتكما سوية فارجو ان تبذل يا والدي جهدك لاصلاح الوضع. لأنكما لا تزالان في عمر الشباب وعليكما التفكير بحياتكما معا.

ـ لكنك قلت أنك فتشت المدينة بكاملها؟

ـ طرأت لي فكرة اخرى. سأبحث عن عمل كمدبرة بيت لعجوز او ارملة ويعرض مع هذا العمل توفير السكن لمدبرة البيت. سألقي نظرة على الصحف المحلية وحالما أجد اعلاناً عن شاغر سأتقدم بطلبي.

بقي والدها صامتاً لفترة طويلة ثم علّق بحزن:

ـ ستقول أليس أنك فاشلة تماماً اذا ما قبلت عملاً كهذا. انه عمل مماثل للخدمة في البيوت.

شحب وجه جودي اذ انها ليست الوحيدة التي فكرت بنفسها

كفاشلة في الحياة بل لا بد ان أليس وصفتها بذلك ايضاً.

أجابته بهدوء:

ـ سيكون عملاً شريفاً ولا يدعو للخجل.

ثم نظرت الى الساعة اثناء حديثها. ستأتي حنة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع معهم، اذ اتصلت بجودي صباح اليوم. ورغم ان جودي اخبرت زوجة والدها بذلك الا انها لم تبلغ زيارتها لشقيقتها. ولاحظت جودي صمت والدها فواصلت:

ـ ستصل هنا حوالي الساعة الثامنة. حبذا لو أن أليس لم تخرج اذ ليس في نيتي تسلية حنة.

ـ اظن ان أليس لم تبق هنا لأنها غير واثقة من مجيء حنة. خاصة بعد ان نقضت وعدها بالمجيء عدة مرات من قبل. وأنصحك بعدم اعداد الفطائر والشاي من أجلها كما اعتدت ذلك في كل مرة.

الا ان حنة جاءت واعتذر بيل عن البقاء في المنزل بحجة الذهاب لزيارة صديق له.

واذ اغلق باب الدار قالت حنة مخاطبة جودي:

ـ ان والدك لا يطيق وجودي. لا اعرف لماذا اختارته والدتي زوجاً لها.

وحركت يدها بأناقة دلّت عليها اظافرها. وانتشرت رائحة عطرها الغالي الثمن في كل مكان. واضاف حضورها تألقاً على جو البيت الدافىء بناره الملتهبة،جدرانه الخشبية ونوافذه المنخفضة ذات الستائر المزهرة.

وأضافت حنة بلهجة تأكيد:

ـ كان لوالدتي ذوق افضل في السابق. وكان عليها اختيار رجل في مركز والدي الذي كان معمارياً.

فاحمر وجه جودي وحاولت جهدها الحفاظ على هدوئها قائلة بعد ان جذبت رسالة وضعتها في جارور الخزانة الجانبية:

ـ وصلتك هذه الرسالة في بريد الظهيرة. وكانت والدتك على

كفاشلة في الحياة بل لا بد ان أليس وصفتها بذلك أيضاً.
أجابته بهدوء:
ـ سيكون عملاً شريفاً ولا يدعو للخجل.
ثم نظرت الى الساعة اثناء حديثها. ستأتي حنة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع معهم، اذ اتصلت بجودي صباح اليوم. ورغم ان جودي اخبرت زوجة والدها بذلك الا انها لم تلغ زيارتها لشقيقتها. ولاحظت جودي صمت والدها فواصلت:
ـ ستصل هنا حوالي الساعة الثامنة. حبذا لو أن أليس لم تخرج اذ ليس في نيتي تسلية حنة.
ـ اظن ان أليس لم تبق هنا لأنها غير واثقة من مجيء حنة. خاصة بعد ان نقضت وعدها بالمجيء عدة مرات من قبل. وأنصحك بعدم اعداد الفطائر والشاي من أجلها كما اعتدت ذلك في كل مرة.
الا ان حنة جاءت واعتذر بيل عن البقاء في المنزل بحجّة الذهاب لزيارة صديق له.
واذ اغلق باب الدار قالت حنة مخاطبة جودي:
ـ ان والدك لا يطيق وجودي. لا اعرف لماذا اختارته والدتي زوجاً لها.
وحركت يدها بأناقة دلّت عليها اظافرها. وانتشرت رائحة عطرها الغالي الثمن في كل مكان. واضاف حضورها تألقاً على جو البيت الدافىء بناره الملتهبة،جدرانه الخشبية ونوافذه المنخفضة ذات الستائر المزهرة.
وأضافت حنة بلهجة تأكيد :
ـ كان لوالدتي ذوق افضل في السابق. وكان عليها اختيار رجل في مركز والدي الذي كان معمارياً.
فاحمر وجه جودي وحاولت جهدها الحفاظ على هدوئها قائلة بعد ان جذبت رسالة وضعتها في جارور الخزانة الجانبية:
ـ وصلتك هذه الرسالة في بريد الظهيرة. وكانت والدتك على

وشك ارسالها اليك الا انها قررت ابقاءها عندما علمت بمجيئك.
كانت مرسلة الى الآنسة جودي لانكهام، الا ان جودي وزوجة والدها كانتا تعلمان جيداً انها موجهة لحنة، حيث تفاخرت الأم بشجاعة ابنتها في انقاذ طفل يوناني من الغرق. واخبرت جودي ان عمّ الطفل الغني ومالك السفن أصبح بمرور الوقت صديقاً لابنتها.
ناولت جودي الرسالة لحنة، بعد ان لاحظت جمال خط العنوان الدال على غنى شخصية المرسل.
- شكراً...
وارتمت حنة في مقعدها، مادّة ساقيها الجميلتين. ثم بدأت تفتح الظروف بحركة تدل على الضجر.
- ماذا تريدين ان تشربي، الشاي ام القهوة؟
- فنجان قهوة رجاء.
وسحبت الرسالة ثم بدأت قراءتها، بينما ذهبت جودي الى المطبخ لشغل نفسها بإعداد الفطائر والقهوة. كانت الساعة الثامنة والنصف. وساءلت جودي نفسها عن كيفية الحديث مع حنة بلهجة ودية طوال الساعتين المقبلتين. واذ القت نظرة سريعة على وجهها في المرآة لاحظت تقطية جبينها فاسترخت حالاً متخلصة من تأثير حضور حنة المربك. وكانت النتيجة رسم ابتسامة على وجهها الجميل ببشرته الوردية الناعمة وجبينها الدال على الذكاء. كانت جودي ذات أنف صغير وشفتين ممتلئتين، وعينين عسليتين. ورغم انجذاب زملائها نحوها في مكان العمل الا ان جودي لم تلتق بعد برجل تعتبره صديقاً لها. هذا اذا تركت جانباً اي حلم عاطفي يراودها.
طالبها والدها تكراراً ان تخرج للقاء اصدقائها اكثر. الا ان ذلك يتطلب بعض المال، واذ كان دخلها لا يكفي لغير الضروريات لم تستطع غير قضاء معظم وقت فراغها في المنزل.
جاءت الى غرفة الجلوس حاملة الصينية فلاحظت الرسالة موضوعة الى جانب حنة. وما ان وضعت الصينية على المنضدة

الصغيرة حتى قالت حنة:
- في مقدورك رمي الرسالة في سلة المهملات بعد ان تقرأيها.
- اقرأها؟ هل تريدين مني قراءتها؟
وارتسمت على شفتي حنة ابتسامة انتصار قبل ان تجيبها:
- انها من المعجب اليوناني فيداس تيرون. علمت منذ فترة قصيرة انه مليونير ويريد الزواج مني.
ابتلعت جودي لعابها بصعوبة، مليونير... واراد الزواج من حنة؟ النجاح والفشل... نعم، كما قال والد جودي... حازت حنة على كل شيء، بينما هي، جودي، لا تملك شيئاً.
- ستسر والدتك للخبر.
وفكرت جودي بأنها ستستغل الفرصة لتذكّرها بحسن حظ ابنتها.
- بالطبع. ألن يسر والدك فيما لو عرض عليك مليونير الزواج؟
تجاهلت جودي السؤال وانحنت لتصب القهوة.
- لم تريدين رمي الرسالة؟ غالباً، يحتفظ الانسان بشيء كهذا.
- لماذا؟
- لا بد ان لها قيمة عاطفية.
اجابت جودي بينما اطلقت حنة ضحكة صاخبة.
- انك فتاة قروية ساذجة. قيمة عاطفية!
وانطلقت تضحك ثانية:
- اقرأيها... ثم ارميها في النار...
تركت جودي الرسالة في مكانها واكتفت بمناولتها القهوة.
سألت جودي:
- هل ستتزوجينه؟
ومدت يدها لتناولها صحن الفطائر.
- بالطبع. ولكن فيما بعد. بعد انتهائي من الفيلم.
- وهل سيوافق على الانتظار؟

- لن اسأله الموافقة. ان لشهرتي المكان الأول. وأفترض مسبقاً قبوله بذلك. . . . ثم تناولت احدى الفطائر وتفحصتها قبل أكلها.
- يرغب الرجال عادة ان يكونوا في المكان الاول بالنسبة لزوجاتهم.
وبدا وكأن حنة تتمتع بسماع ما اعتبرته كلام امرأة عادية:
- افترض انك ستفكرين جيداً قبل ان تضعي زوجك في المكان الثاني بعد عملك؟
- اذا اردت السعادة يا حنة فعليك الاهتمام بزوجك اولاً.
- تلك فكرة قديمة يا جودي. لا يضع الرجال زوجاتهم في المكان الأول عادة بل غالباً ما تأتي المرأة بالنسبة لهم في المكان الثاني بعد عملهم.
ما الداعي اذاً للقتال والمطالبة بالمساواة اذا لم تحققي عملياً ما فزت به؟
- لا توجد في اليونان المساواة ذاتها. الرجال هم اصحاب السلطة هناك.
- هراء! في حالتي، سيعيش فيداس في المكان الذي اريده انا. . . ولن يكون ذلك بالتأكيد في اليونان. لذلك اذا ما عشنا في انكلترا فعليه ان يتبع أسلوب الحياة الانكليزية. . . وهذا يعني معاملة زوجته معاملة الند.
- لا بد انه رجل ضعيف الشخصية ليدعك تفعلي كل ما تريدينه.
وسمحت جودي لنفسها بالقاء نظرة سريعة على خط كاتب الرسالة. لا بد انه رجل قوي الشخصية ليكتب بتلك الطريقة. ورأت توقيعه في نهاية الرسالة: فيداس تي.
- يبدو لي من الغرابة بمكان ان يعرض مليونير الزواج على فتاة لم يلتق بها.
- يجب ان اعترف انني اشاطرك الرأي. انها حقيقة محيرة. هناك غموض يحيط بالمسألة كلها.

ـ لن اسأله الموافقة. ان لشهرتي المكان الأول. وأفترض مسبقا قبوله بذلك. . . ثم تناولت احدى الفطائر وتفحصتها قبل أكلها.
ـ يرغب الرجال عادة ان يكونوا في المكان الاول بالنسبة لزوجاتهم.
وبدا وكأن حنة تتمتع بسماع ما اعتبرته كلام امرأة عادية:
ـ افترض انك ستفكرين جيداً قبل ان تضعي زوجك في المكان الثاني بعد عملك؟
ـ اذا اردت السعادة يا حنة فعليك الاهتمام بزوجك اولاً.
ـ تلك فكرة قديمة يا جودي. لا يضع الرجال زوجاتهم في المكان الأول عادة بل غالباً ما تأتي المرأة بالنسبة لهم في المكان الثاني بعد عملهم.
ما الداعي اذاً للقتال والمطالبة بالمساواة اذا لم تحققي عملياً ما فزت به؟
ـ لا توجد في اليونان المساواة ذاتها. الرجال هم اصحاب السلطة هناك.
ـ هراء! في حالتي، سيعيش فيداس في المكان الذي اريده انا. . . ولن يكون ذلك بالتأكيد في اليونان. لذلك اذا ما عشنا في انكلترا فعليه ان يتبع أسلوب الحياة الانكليزية. . . وهذا يعني معاملة زوجته معاملة الند.
ـ لا بد انه رجل ضعيف الشخصية ليدعك تفعلي كل ما تريدينه.
وسمحت جودي لنفسها بالقاء نظرة سريعة على خط كاتب الرسالة. لا بد انه رجل قوي الشخصية ليكتب بتلك الطريقة. ورأت توقيعه في نهاية الرسالة: فيداس تي.
ـ يبدو لي من الغرابة بمكان ان يعرض مليونير الزواج على فتاة لم يلتق بها.
ـ يجب ان اعترف انني اشاطرك الرأي. انها حقيقة محيرة.
هناك غموض يحيط بالمسألة كلها.

ـ غموض؟ ما الذي تعنيه؟

والتقطت جودي الرسالة من على الكنبة:

ـ اشعر، مثلك، ان من يعرض الزواج على فتاة بالمراسلة لا بد ان يكون ضعيفاً. انه لم يطلب مني حتى ارسال صورتي.

ـ الا انه يعرف من أنت... اليس كذلك؟ ويعرف مهنتك كممثلة؟

هزت حنة رأسها نفياً:

ـ لم اذكر ذلك ابداً. كانت رسائلي له قصيرة ومختصرة اذ لم اعرف فائدة المراسلة معه في البداية. الا انني توصلت من خلال رسائله الى رسم صورة له بعيدة تماماً عن ضعف الشخصية. بل بالعكس يبدو قوياً وصارماً ذا عقل تجاري. واخبرني صديق له بأنه مليونير ذو ارادة لا تلين. كما انه وسيم جداً من ناحية المظهر.

وابتسمت حنة ثم تناولت فطيرة اخرى من الصحن الموضوع امامها.

ـ هل اخبرتك بقصة بدء المراسلة فيما بيننا من قبل؟

ـ كلا، بل ان والدتك اكتفت بذكر انقاذك لحياة ابن اخيه.

ـ لم يكن الحادث خطيراً. تعرّض الصبي لحادث صغير واسرعت لمساعدته.

وكما تعلمين انا ماهرة جداً في السباحة وحزت على العديد من الداليات، لذلك لم يكن ما حدث بطولياً.

تحدثت حنة عن الحادث ببساطة وأيقنت جودي من صدقها. اذ اصرت، رغم إدعاءاتها في مجالات اخرى، على ذكر الحقيقة هذه المرة.

ـ كان والدا الصبي يقضيان عطلتهما في الولايات المتحدة وبقي الصبي تحت رعاية فيداس. كانت المربية حاضرة قرب الساحل الا انها اهملت واجبها لذلك تعرّض الصبي للوقوع في بعض المتاعب بعد ان ابتعد عن الساحل قليلا. وتستطيعين ان تتصوري مدى

عرفان الجميل الذي شعر به العم. وحاول الاتصال بي شخصياً قبل مغادرتي الجزيرة. . .
ـ هل كانت جزيرة كورفو، كما ذكرت والدتك؟
ـ نعم. يعيش فيداس هناك في فيلا رائعة. ولأتمم القصة، حاول الاتصال بي ورغم اني تركت اسمي وعنوان الفندق مع المربية، الا اني لم ابق فترة طويلة في كورفو، اذ انتقلت مع مجموعة السفر السياحية الى اثينابعد ايام. الا ان احدى رسائله في انتظاري. ربما تتذكرين ذلك؟
اومأت جودي براسها الا انها سألت حنة عن عدم ارساله الرسالة الى عنوانها في لندن :
ـ كنت تعيشين في لندن عند بدء الرحلة.
ـ نعم ولكن ليس اثناء حجزي للرحلة. لذلك اعطيت شركة السفريات هذا العنوان، فواصل فيداس الكتابة عليه.
رشفت جودي قهوتها ببطء.
ـ لم لم تبلغيه بتغيير عنوانك؟
ولم تدرك جودي سبب سؤالها ذلك، اذ لم يكن العنوان الذي استخدمه فيداس لارسال رسائله مهماً في شيء.
ـ لم ازعج نفسي بتلك المسألة.
واسترخت حنة في جلستها بعد ان اعادت كوب القهوة الى الصينية.
ـ وكما قلت من قبل، لم ادرك فائدة المراسلة معه في البداية.
ـ الا انك ربحت في النهاية. . . مليونير. . . حلم كل فتاة. . .
قالت جودي ذلك ناظرة الى الرسالة بعينين متفحصتين.
ـ هل تشعرين بالحسد يا جودي؟
ونظرت نحوها بشفقة.
بقيت جودي ممسكة بالرسالة دون قراءتها وفكرت بالمستقبل. ربما ستحتل وظيفة مدبرة منزل او قد تعثر على غرفة صغيرة حيث تستطيع

مواصلة عملها ذاته. الا ان وضعها، وفي احسن الاحوال لن يتغير كثيراً بل ستبقى محرومة من الرخاء وقضاء رحلة ممتعة، في كورفو مثلاً.

قالت اخيراً لحنة بعد ملاحظتها لنفاد صبرها:

- يجب ان أقر بانني سأكون مسرورة جداً اذا ما عرض علي مليونير الزواج.

فتساءلت حنة باهتمام:

- رغم غموض العرض؟

- هل انت متأكدة من وجود غموض ما يحيط بالعرض؟

- اشعر بذلك. اقرأي الرسالة.

فقرأت جودي نص الرسالة:

« عزيزتي جودي

شكراً على جوابك لرسالتي التي شكرتك فيها مرة اخرى على انقاذك حياة ابن اخي الصغير. الا ان مأساة اكبر حدثت في الآونة الاخيرة وغيرت مجرى حياتنا، اذ قتل شقيقي وزوجته وابنهما في حادث قطار لا بد انك قرأت عنه في الصحف الانكليزية. انني وحيد تماماً الان اذ قتل اثناء الحادث كل افراد عائلتي.

عزيزتي:

نحن لا نعرف بعضنا اطلاقاً الا انني اعرض عليك الزواج، لأنني علمت من رسائلك، بانك فتاة لطيفة. كما انك شجاعة ولا زلت اشعر بالامتنان نحوك لانقاذ حياة دافوس كما قلت في رسالتي الاولى، كان علي التوجه الى اثينا في ذلك اليوم، في رحلة عمل، وعلى اي حال ما كان في مقدوري البقاء الى جانب الطفل طوال حياتي. ولو حدث له شيء اثناء وجوده تحت رعايتي لما كان في مستطاعي مواجهة اخي وزوجته عند عودتهما الى كورفو. قد تظنين انني أبالغ في امتناني الا انني اود جذب انتباهك الى ان هذا اسلوبنا في اليونان، اذ نشعر بالامتنان اكثر من اي شعب آخر ونحاول دائماً تسديد ديننا بكامله

مواصلة عملها ذاته. الا ان وضعها، وفي احسن الاحوال لن يتغير كثيراً بل ستبقى محرومة من الرخاء وقضاء رحلة ممتعة، في كورفو مثلاً.

قالت اخيراً لحنة بعد ملاحظتها لنفاد صبرها:

- يجب ان أقر بانني سأكون مسرورة جداً اذا ما عرض علي مليونير الزواج.

فتساءلت حنة باهتمام:

- رغم غموض العرض؟

- هل انت متأكدة من وجود غموض ما يحيط بالعرض؟

- اشعر بذلك. اقرأي الرسالة.

فقرأت جودي نص الرسالة:

« عزيزتي جودي

شكراً على جوابك لرسالتي التي شكرتك فيها مرة اخرى على انقاذك حياة ابن اخي الصغير. الا ان مأساة اكبر حدثت في الآونة الاخيرة وغيرت مجرى حياتنا، اذ قتل شقيقي وزوجته وابنهما في حادث قطار لا بد انك قرأت عنه في الصحف الانكليزية. انني وحيد تماماً الان اذ قتل اثناء الحادث كل افراد عائلتي.

عزيزتي:

نحن لا نعرف بعضنا اطلاقاً الا انني اعرض عليك الزواج، لأنني علمت من رسائلك، بانك فتاة لطيفة. كما انك شجاعة ولا زلت اشعر بالامتنان نحوك لانقاذ حياة دافوس كما قلت في رسالتي الاولى، كان علي التوجه الى اثينا في ذلك اليوم، في رحلة عمل، وعلى اي حال ما كان في مقدوري البقاء الى جانب الطفل طوال حياتي. ولو حدث له شيء اثناء وجوده تحت رعايتي لما كان في مستطاعي مواجهة اخي وزوجته عند عودتهما الى كورفو. قد تظنين انني أبالغ في امتناني الا انني اود جذب انتباهك الى ان هذا اسلوبنا في اليونان، اذ نشعر بالامتنان اكثر من اي شعب آخر ونحاول دائماً تسديد ديننا بكامله

حين تحين الفرصة، اذا ما وجدنا انفسنا مدينين بدين كبير مماثل لما انا مدين به لك. لهذا السبب اعرض عليك الزواج. ارجو ان تبلغيني جوابك بأسرع وقت حالما تتخذين قرارك.

المخلص

فيداس تي.

يقيت جودي ممسكة بالرسالة فترة طويلة قبل ان تتكلم. كانت الرسالة حزينة الا ان جودي أحست بشيء آخر. كان نوع من ألم غريب يطغى على شخصية الرجل ولم يعبّر عنه بكلماته.

- انها مأساة كبيرة... ان يفقد عائلته بكاملها.

رفعت جودي رأسها وحاولت جهدها السيطرة على دموعها لئلا تنهمر امام حنة. وتذكرت هدوء هذه اثناء اطلاعها على محتوى الرسالة، ولا مبالاتها حين طلبت من جودي قراءتها وحرقها بعد ذلك. كيف تستطيع ذلك حيال حزن الرجل وألمه؟

- حنة، انني حزينة رغم عدم معرفتي بالرجل...

وأعادت جودي قراءة الرسالة مرة اخرى الا انها لم تجد غير صورة رجل له ملامح يونانية يحيط به الحزن ويعاني من ألم لا حد له...

- لا اعرفه... الا انني أفهم مشاعره. يا له من أمر غريب.

ضحكت حنة ضحكة قاسية دفعت جودي للارتجاف ثم نظرت بعيداً، كما لو ارادت التخلص من تأثير ضحكتها وملامحها الباردة اللامبالية.

- يا لك من فتاة غريبة يا جودي. ان تذرفي الدمع من اجل اناس لا تعرفينهم... ثم انهم موتى... موتى... يا لك من فتاة ضعيفة! هل تعلمين ان هناك ملايين الناس يموتون كل يوم؟ هل ستبكين من اجل كل الموتى؟

لم تنطق جودي بشيء اذ كانت مشغولة بمسح دموعها.

- كلا، انني ابكي من اجل الرجل... فيداس. الا تستطيعين

ادراك حزنه العظيم؟
ثم الا تلاحظين شيئاً آخر؟ شيء لا علاقة له بوفاة افراد عائلته؟
قطبت حنة جبينها ونظرت الى جودي كما لو كانت مصابة بمسّ:
- ما الذي تتحدثين عنه؟
فتحت جودي فمها لتقول شيئاً، الا انها اكتفت بهز رأسها. لم تستطع توضيح مشاعرها. كل ما علمته هو انها أسفت لقراءة الرسالة وادركت أنها ستعاني الاكتئاب فترة طويلة بسببها. لم انتابها الحزن على رجل لا تعرفه؟
قالت اخيراً رغم انها أرادت اللجوء الى الصمت:
- انه وحيد تماماً.
- ثم ماذا؟ العالم مكتظ بالوحيدين.
أحست جودي بأن فيداس مخطىء باختياره للفتاة التي سيتزوجها. وتذكرت جملته. . . «اعرف من رسائلك بانك فتاة لطيفة. . .»
وتخيلت جودي حنة كاتبة رسائل ساحرة خدعت فيداس بسهولة. قالت اخيراً:
- هناك أمر غامض كما توقعت.
- هل تظنين ذلك فعلاً؟ هل هناك ما يثبت ظنك؟
هزت جودي رأسها باكتئاب. وأحست كما لو انها تعرف الرجل. . . كما لو ان الرسالة كانت موجهة لها وليس الى حنة. . . ونفد صبر جودي فانتابها القلق لافكارها الغريبة. . . ما الذي جرى لها لتتصرف بهذه الطريقة؟ لا علاقة لفيداس تيرون بها. . . لا علاقة له بها اطلاقاً.
- لمَ يعرض الزواج؟ لمَ لا يعرض عليك مكافأة مادية مثلاً؟ لم الزواج يا حنة؟ لماذا؟
وتنهدت، بينما قالت حنة:
- هذا هو الامر الغامض يا جودي. . . لمَ الزواج؟

فاومات جودي بآلية:
ـ نعم، هذا هو الأمر الغامض.

٢ ـ البحث عن غرفة

هل للغموض علاقة بالألم الذي أحست به جودي عند قراءتها رسالة فيداس؟ طالما راودها، السؤال ذاته مرات ومرات في الايام التالية، وحاولت في الوقت نفسه نسيان الموضوع مقنعة نفسها بأن لديها ما يكفيها من المتاعب دون الحاجة للقلق من رجل مجهول يعيش في بلاد لم تزرها من قبل، رجل بدا وكأن همّه الاول هو عرض الزواج على حنة.

استطاعت اخيراً التغلب على عواطفها والتركيز من جديد على محاولة العثور على مكان تعيش فيه. واصبحت المشكلة اكثر الحاحا بعد ان قضت حنة عطلة نهاية الاسبوع معهم واختلقت والدتها سبباً آخر للشجار بعد مغادرتها وتفاقم الأمر الى حد طلبت فيه أليس من

جودي مغادرة البيت. لم يكن والدها حاضراً ولم تذكر له جودي شيئاً فيا بعد، مما تركها تعاني لوحدها مستهلكة طاقتها في التفكير بحل ما. تباهت أليس برغبة المليونير في الزواج من ابنتها وكررت قصة نجاحها في الحصول على دور رئيسي في الفيلم ونجاحها في حياتها. وقارنت بينها وبين فشل جودي في كل شيء، واخبرتها انها ستكون محظوظة في حياتها لو تلقت ذات مرة عرض زواج من عامل. لم يكن هناك داع لذلك التباهي، اذا كانت جودي جميلة جداً الا ان أليس لم تتوقف عن البحث عن دافع يستفزها ويذلها.

غادرت جودي غرفة الجلوس لتنعزل في غرفتها متأملة وضعها وفشلها.

ورغم بذلها جهداً خارقاً في تفادي الشجار مع زوجة والدها، الا انها فشلت في مساعيها. وازداد الامر سوءاً حين بدأ والدها يغادر المنزل مساء كل يوم لقضاء الوقت في المقهى المجاور مما دفعه لاعطاء مصروف أقل لأليس ليستطيع البقاء خارج المنزل أطول فترة ممكنة. وهكذا وجدت أليس سبباً جديداً للنزاع.

ولم تستطع جودي العثور على غرفة او عمل او اي شيء يساعدها على حل مشكلة بقائها في البيت، فقررت في عطلة نهاية الاسبوع الذهاب لزيارة حنة في لندن، وهكذا صرفت نقوداً ادخرتها لشراء زوج جديد من الاحذية.

ماذا كان سيحدث لو ان حنة لم تكن موجودة؟ لم تخطر الفكرة على بال جودي الا بعد جلوسها في القطار. خاصة وانها حاولت الاتصال بها تليفونياً مرتين ولم يجبها أحد.

وسألت نفسها مراراً... لم أنا ذاهبة هناك على أي حال؟

انا لسنا صديقتين ولن اشعر بالراحة معها، وسأعود شاعرة بالتعاسة اكثر من السابق.

كانت حنة موجودة في شقتها. ودهشت حين فتحت الباب الا انها دعت جودي للدخول وقادتها الى غرفة الجلوس. سألتها:

ـ ماذا حدث؟

ولم تحاول جودي اخفاء شيء. فأخبرتها عن استحالة العيش مع والدتها وبأنها تحاول العثور على غرفة كي تستطيع مغادرة المنزل.

تنهدت حنة بنفاد صبر وقالت:

ـ ناوليني معطفك. . .

ثم واصلت بعد ان علقت المعطف:

ـ ما كان عليها الزواج اطلاقاً. انها لا يناسبان بعضهما، اظن ان والدي قلقة لقلة المال وليس هناك عامل يقضي على سعادة الزوجين اكثر من الفقر. وانا اؤمن بصحة المثل القديم القائل «حين يدخل الفقر من الباب يهرب الحب من الشباك» انا سعيدة لانني لم أعان من الفقر.

واشارت لجودي طالبة منها الجلوس:

ـ ما الذي تودين شربه؟

وقبلت جودي الدعوة بالجلوس ثم طلبت كوب شاي.

كانت جائعة الا انها ظنت ان حنة تناولت طعامها لذلك لم تذكر شيئاً عن الطعام.

ـ فكرت بانك قد تسمحين لي بقضاء الليلة هنا اذا لم يكن لديك ما يشغلك.

هزت حنة كتفيهابرودة كادت ان تدفع جودي للقول بانها ستناول الشاي وتغادر المكان. الا انها لم تستطع تحمّل فكرة العودة الى البيت لمواجهة أليس وغضبها الشديد.

ـ تستطيعين البقاء اذا رغبت في ذلك ولكن حاولي الا تجعلي ذلك عادة لك. اذ انني غالبا ما اكون مشغولة او قد أدعو احد الاصدقاء لقضاء عطلة نهاية الاسبوع معي. وفي الشقة غرفة نوم واحدة احتياطية لذلك لن يكون هناك مكان لك للنوم. . . اعني في حالة وجود مدعو آخر.

غادرت حنة الغرفة الى المطبخ ورفعت جودي يديها لتلمس خدها، وأحست بالغباء لقرارها المجيء. ربما كان من الافضل البقاء في غرفتها طوال يومي العطلة. واوضحت حنة بعد عودتها من المطبخ حاملة صينية الشاي:

ـ على اي حال، ساكون مستعدة لمغادرة الشقة بعد ثلاثة اسابيع اذ سأتوجه الى الجزيرة.

فقالت جودي بعد تردد لم تفهم هي سببه:

ـ هل كتبت رد الرسالة؟

ـ بالطبع.

ـ هل قبلت عرضه بالزواج؟

ـ بالطبع. ما الذي توقعته؟

رطبت جودي شفتيها. ذلك الرجل المسكين، انه لا يعرف حقيقة شخصية حنة.

ـ هل سينتظر حتى انتهائك من إداء الدور؟

ـ لم اذكر شيئاً عن الفيلم.

ـ كلا؟ لماذا؟

قطبت حنة جبينها مجيبة:

ـ ذلك لغز آخر اذ انني لم اذكر له شيئاً عن حقيقة مهنتي. كما لم تكن هناك مناسبة تستدعي ذلك خاصة وان رسائلنا المتبادلة لا يزيد عددها عن ست رسائل.

ـ ست رسائل؟

وتعجبت جودي اذ ان اليس تحدثت عن علاقة حميمة بين ابنتها والمليونير.

ـ كتب لي ثلاث رسائل واجبته انا على كل واحدة منها. لذلك لم اذكر شيئاً عن عملي. انني لا اريد فقده خاصة وان لدي احساسا بأنه لن يرغب الزواج من ممثلة. نعم ذلك لغز آخر. لا استطيع العثور على سبب مقنع يمنعني من ذكر مهنتي له وأفكر احياناً بانه عرض

الزواج وكل ما علي عمله هو اخباره الحقيقة ويستطيع سحب العرض لو لم يعجبه الوضع.

ذكرتها جودي بما قالته قبل لحظات:

- لكنك قلت بانك لا تريدين فقده.

- بالطبع لا اريد ذلك. لذلك سأتظاهر بوجود بعض الاسباب الخاصة المانعة لزواجنا مباشرة وسأطلب منه تأجيل الزواج فترة معينة.

تأملت جودي المسألة كلها... كان هناك شيء محيّر بصدد فيداس اولاً.

كان من المستحيل ان تصدق بأن رجلاً له مركز فيداس سيتزوج فتاة كتب لها ثلاث رسائل فقط، فتاة لم يلتق بها ولم يطلب حتى رؤية صورتها. منطقياً لم يكن هناك ما يدعوه لاتخاذ تلك الخطوة. الا ان الرسالة وعرضه الزواج أمران حقيقيان لا شك فيهما...

- هل ستتزوجينه دون ان تلتقي به؟

- سأراه واذا لم ارغب فيه سأغير رأيي.

- هل هناك احتمال للرفض؟

- لا بد له ان يكون بشعاً جداً لكي أرفضه... مليونير! لا تستطيع اي فتاة نبذ عرضه في عجلة.

- هل ستتزوجينه من اجل نقوده فقط؟

- بالطبع. لا بد انه يعرف ذلك فلا حاجة ان تشعري بالأسف من اجله.

- لا استطيع حتى الآن فهم سبب عرضه للزواج...

اكتفت حنة بهز كتفيها بلامبالاة وكأنها تعبت من ذلك السؤال بالذات.

- لا بد ان هناك سبباً جيداً سيوضحه لي حين نلتقي.

- كان في مقدوره توضيح السبب في الرسالة.

- ربما كان سبباً فضل توضيحه لي شخصياً... والآن يا جودي،

حاولي نسيان الموضوع رجاء. . . انني لست قلقة. . . فلم تقلقين أنت؟

الا ان جودي اكتشفت السبب بعد فترة قصيرة.

كانت جودي جالسة مع حنة عصر اليوم التالي حين دق جرس الباب ففتحت حنة الباب وقدمت مع شاب في الثلاثين من عمره. وبعد ان عرّفته بجودي مضت حنة لاعداد كوب شاي له. سألها جون يين ناظراً اليها باعجاب:

ـ هل اسمك جودي ايضاً؟

كان له وجه واضح الملامح أعجبت به جودي.

ثم قال:

ـ كيف تتهجّين اسمك؟

فأخبرته. ورغم دهشته الشديدة لم تحاول جودي توضيح حقيقة تشابه الاسمين وكيف استخدمت حنة اسمها. واذ لم يتطرق الحديث الى اسم العائلة اكتفت جودي بذلك فقال جون:

ـ أليست جودي محظوظة؟ أعني لاختيارها نجمة في فيلم «فانتازيا الغسق»؟

ـ نعم حقاً.

ـ انها ضربة حظ يمكن ان تؤدي الى الشهرة الدائمة.

ثم نظر الى الباب وهمس:

ـ ما لم ترتكب عملا أحمق.

ـ أحمق؟

تردّد لحظة قبل الاجابة:

ـ انك قريبة لها لذلك استطيع الثقة بك. هل تعرفين عن هذا الشخص فيداس؟

ـ نعم.

ـ قد يغريها المرض. هل ذكرت لك شيئاً عن نيتها بصدد الزواج منه او رفضه؟

والشيء الآخر، الذي احست به جودي ولم تعرف ما هيته من قبل.

سيواجه الموت بعد ستة اشهر وهو في الواحدة والثلاثين من عمره فقط كما اخبرتها حنة. وانهمرت دموعها كما حدث لها في المرة الاولى. ثم تمالكت نفسها وسألت:

- ما هو مرضه؟

- مرض نادر يصيب العمود الفقري ولا علاج له بعد. ولا يزال البحث مستمراً لمعرفة سره الا انه مرض مستعص يصاب به عادة سكان جزر الشرق الاقصى. والغريب في الامر ان فيداس أصيب به بعد توجّهه لفتح مستشفى تبرع بكلفة بنائه، للمصابين بالمرض ذاته.

- سمعت انه ولفترة قصيرة كان له أخ.

- نعم وابن أخ ايضاً ولم يكن هناك ما يدعو للقلق، اذ انهما الوريثان الشرعيان له.

- يبدو أنك تعرف الكثير عنه؟

- كما اخبرتك لي صديق على معرفة بشخص له علاقة بعمل فيداس وكل المعلومات التي ذكرتها حصلت عليها عن طريقه. انني سعيد لجهل جودي بحقيقة بقائه حياً ستة أشهر فقط.... اذ لو علمت لتزوجت منه. وهذا يعني نبذها فرصة ان تكون ممثلة عظيمة.

- يبدو ان هناك سبباً يدفعك لمنعها من رفض تلك الفرصة؟

- هل تسالينني اذا ما كنت احبّها؟ الجواب.. كلا. مصلحتي الوحيدة مادّية حيث استثمرت بعض المال في الفيلم ويهمّني نجاحه.. وتذكّري انك وعدت بعدم إخبار جودي.

- لن اذكر حرفاً لها...

كانت جودي تفكر بفيداس، ربما استلم رسالة حنة الآن، التي

تخبره فيها بأنها لن تستطيع الزواج منه الا بعد مضي عام. . . ما الذي سيفعله؟ هل سيبحث عن فتاة اخرى؟ تساءلت جودي ناظرة الى جون من خلال عبراتها:

ـ هل لديك اي فكرة عن مظهره الخارجي؟

ـ انه طويل القامة، وسيم وله بشرة داكنة مثل بقية اليونانيين بالطبع. ولا يدلّ مظهره الخارجي على مرضه اطلاقاً، بل يبدو وكأنه مثال الصحة، كما ذكر الصديق. يبدو ان للمرض تأثيره البطيء والمتسارع في المرحلة الاخيرة من حياة المريض فقط. ثم تحلّ النهاية بشكل مفاجىء.

ـ يا له من امر مخيف. . . ان تعرف انك على وشك الوفاة.

ـ اظن انني لو كنت محلّه لمتُّ لحظة معرفتي الحقيقة. فلن أطيق الانهاك العقلي المترتب على ترقّب الموت مدة ستة شهور.

ـ لا بد ان الاستمرار بالحياة العادية يتطلب شجاعة كبيرة.

واومأ جون برأسه ايجاباً. الا انهما توقفا عن الحديث اذ دخلت حنة الغرفة حاملة كوب الشاي.

ـ نسيت ان اسألك هل تريد سكّراً في الشاي؟

ـ نعم اريد ملعقتين رجاء.

فناولته حنة السكّر ثم تساءلت:

ـ ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟

ونظرت الى جودي ملاحظة تألق عينيها.

ـ أنت، كنا نقول إنك محظوظة.

ابتسمت حنة له بنعومة وقالت:

ـ نعم، انني محظوظة، اليس كذلك؟

ثم استقرت بنظراتها على وجه جودي. . . عدّة أشهر اخرى تقضيها في الجزيرة وسحر تصوير الفيلم ثم. . . الزواج من مليونير!

بعد أقل من اسبوع، اتصلت حنة بجودي تلفونياً في مكتب عملها واخبرتها بأنها ستغادر الى جنوب البحر الاطلسي فوراً.

ـ حدث الأمر أسرع مما توقعت ولا استطيع القدوم لتوديع والدتي. انقلي لها أسفي واخبريها الا تتوقع مني العديد من الرسائل اذ ساكون مشغولة جداً. وداعاً وارجو ان تنجحي في العثور على غرفة.

اكتأبت أليس لدى سماعها الخبر وللمرة الاولى تحدثت بنعومة الى جودي.

ـ ظننت انها ستأتي لتوديعي. أبناء اليوم! انهم لا يصلحون لشيء اطلاقاً.

ورغم احساس جودي بانه كان على حنة بذل جهدها للمجيء لتوديع والدتها، الا انها قالت محاولة تهدئتها:

ـ لا بد انها لم تجد الوقت المناسب. اذ يتطلب التحرك احياناً لتصوير فيلم نقل كل ممتلكات الشخص معه.

ـ لا تحاولي ايجاد عذر لها... ليس هناك عذر مقنع.

وانهمرت دموعها فنظرت جودي الى والدها فقال:

ـ لا تبكي. انها لن تبقى هناك طوال حياتها وسينقضي الوقت قبل ان تدركي ذلك.

ـ انني ضجرة ويائسة من كل شيء! وأشعر بالرغبة في الابتعاد الى مكان ما لوحدي.

لم تكن المرة الاولى التي تتشكى فيها أليس، الا انهم جميعاً ولسبب ما شعروا بالالفة تسود بينهم. لذلك قال بيل:

ـ لنذهب لقضاء عدة ايام قرب ساحل البحر. لدي بعض المال وانا مستعد لصرفه.

جففت أليس دموعها محدقة في وجهه بشك.

ـ هل تعني ما تقوله؟

فاومأ برأسه علامة الموافقة:

- سأتقدم بطلب الاجازة من العمل غداً ولا اعتقد انهم سيرفضون. اذ لدي عدة ايام مستحقة من العام الماضي... ما رأيك؟

ترددت أليس، الا ان جودي السعيدة للتغيير المتوقع ساندت فكرة والدها. وهكذا قرّرا السفر يوم الاربعاء المقبل والبقاء هناك اسبوعاً واحداً.

سألها والدها صبيحة مغادرتهم:

- هل ستكونين على ما يرام لوحدك؟

وكانت جودي واقفة تغسل صحون الافطار قبل ذهابها الى العمل.

- بالطبع يا والدي. اذهب بسرعة والا ستصلان متأخرين.

ساد بينهما الصمت لحظة ثم قال:

- هذه السفرة القصيرة لن تغيّر شيئاً يا جودي. انتابت أليس واحدة من نوباتها صبيحة اليوم حتى انني كدت ألغي فكرة السفر.

عضت جودي شفتها اذ سمعت هي الاخرى صوت أليس صاخباً قبل ان ينهض أحد من سريره.

- اعرف ما تعنيه، سأواصل البحث لأنني متأكدة أنك ستكون افضل حالاً لوحدك.

كانت جودي جالسة بهدوء قرب النار عصر يوم السبت حين سمعت صوت سيارة تقف قرب باب المنزل. فكرت بأن احدهم ارتكب خطأ عندما لاحظت حجم السيارة. لا بد انه قادم للسؤال عن الكولونيل برات القاطن عند نهاية الشارع. نهضت جودي واقفة ثم توجهت نحو الباب وفتحته قبل ان يقترب سائق السيارة من الباب. حدقت جودي في القادم بدهشة. انه طويل القامة، وسيم ومتميز، ذو شعر أسود وبشرة داكنة... ليس انكليزياً بالتأكيد... كلا... لا يمكن ان يكون هو!

احتواها بنظراته وقال:

- سأتقدم بطلب الاجازة من العمل غداً ولا اعتقد انهم سيرفضون. اذ لدي عدة ايام مستحقة من العام الماضي... ما رأيك؟

ترددت أليس، الا ان جودي السعيدة للتغيير المتوقع ساندت فكرة والدها. وهكذا قرّرا السفر يوم الاربعاء المقبل والبقاء هناك اسبوعاً واحداً.

سألها والدها صبيحة مغادرتهم:

- هل ستكونين على ما يرام لوحدك؟

وكانت جودي واقفة تغسل صحون الافطار قبل ذهابها الى العمل.

- بالطبع يا والدي. اذهب بسرعة والا ستصلان متأخرين.

ساد بينهما الصمت لحظة ثم قال:

- هذه السفرة القصيرة لن تغيّر شيئاً يا جودي. انتابت أليس واحدة من نوباتها صبيحة اليوم حتى انني كدت ألغي فكرة السفر.

عضت جودي شفتها اذ سمعت هي الاخرى صوت أليس صاخباً قبل ان ينهض أحد من سريره.

- اعرف ما تعنيه، سأواصل البحث لأني متأكدة أنك ستكون افضل حالاً لوحدك.

كانت جودي جالسة بهدوء قرب النار عصر يوم السبت حين سمعت صوت سيارة تقف قرب باب المنزل. فكرت بأن احدهم ارتكب خطأ عندما لاحظت حجم السيارة. لا بد انه قادم للسؤال عن الكولونيل برات القاطن عند نهاية الشارع. نهضت جودي واقفة ثم توجهت نحو الباب وفتحته قبل ان يقترب سائق السيارة من الباب. حدقت جودي في القادم بدهشة. انه طويل القامة، وسيم ومتميز، ذو شعر أسود وبشرة داكنة... ليس انكليزياً بالتأكيد... كلا... لا يمكن ان يكون هو!

احتواها بنظراته وقال:

ـ اني ابحث عن الآنسة جودي لانكهام . . .
كانت دهشته فائقة وتغير تعبير وجهه ليدلّ على سروره برؤيتها:
ـ هل انت جودي؟
وابتسم اذ اجاب عن سؤاله بنفسه:
ـ اني متأكد من ذلك!
انا فيداس ولا بد انك خمنت ذلك . . هل استطيع الدخول؟
وأضاف حين لاحظ جمود جودي في مكانها.
ـ نعم، نعم بالطبع.
احست جودي بصغر حجمها الى جانبه . . . وفكرت حين نظرت في عينيه الباسمتين بطريقة جذابة . . انه . . انه سيموت بعد عدة أشهر. لا يبدو ذلك محتملاً . . اذ كان حياً قوياً وذا جسد رياضي قوي.
بلعت جودي ريقها بصعوبة وكان صوتها مرتبكاً حين نطقت اخيراً:
ـ نعم . . ادخل رجاء.
ـ شكراً جودي.
لم تحس بالحرج لوجوده وبدا وكأنها عرفا بعضهما منذ سنوات.
ـ هل استطيع الجلوس هنا؟
واشار الى الكنبة فأومأت موافقة.
ثم سألته عما يريد شربه:
ـ كوب قهوة، بدون حليب رجاء.
استطاعت رسم ابتسامة مرتعشة على شفتيها ثم ذهبت الى المطبخ لاعداد القهوة. كان قلبها يدق بسرعة وعقلها مشغولاً . . لِمَ لم تخبر فيداس انها ليست جودي المعنية بالزواج وان الاخرى تسكن في لندن؟ يجب ان تخبره ذلك خطة عودتها الى الغرفة وبلا تأخير. اذ

ليس من العقل دفعه للاعتقاد بانها الفتاة التي يرغب بزواجها.
وضعت جودي القهوة على المنضدة ولم تدرك مدى جاذبيتها بالنسبة للقادم من جزيرة كورفو الساحرة.
ـ هل ترغب بتناول شيء؟
ـ تناولت غدائي في وقت متأخر، لذلك لن اتناول شيئاً حتى العشاء.
راقبها اذ وقفت هناك فلاحظت نعومة ملامحه، للملامح اليونانية النموذجية. ورغم نعومة ملامحه ادركت جودي ان في امكانه ان يكون قاسياً وبلا رحمة عند الحاجة.
ـ لا تبدو عليك الدهشة لقدومي بهذا الشكل المفاجيء.
ـ اني مندهشة . . .
وكانت مندهشة الى حد لم تعرف فيه كيف تتصرف. الا انها ارادت عدم اظهار ذلك لاعجابها به . . . لا بد ان حنة كانت ستتخذ موقفاً مختلفاً، لأنها كتبت ردها على رسالته وتوقعت منه الجواب بطريقة او اخرى بحيث توجب عليه اما البحث عن فتاة اخرى للزواج منها او المجيء الى انكلترا لاقناع حنة بالزواج منه بأسرع وقت وعدم الانتظار فترة عام لسبب بسيط وواضح . . انه لن يبقى حياً فترة العام كلها.
وها هو قد اختار الحل الاخير بالطبع. لانه لم يعرف سبب تأخير حنة للزواج.
ـ الرسالة . . .
قالت جودي الا انه قاطعها قائلاً بانه قرأها بعناية الا انه لم يفهم سبب رغبتها في التأخير.
ـ يجب ان نتزوج فوراً ورغم عدم قدرتي على ذكر السبب . . ستثقين يا جودي انه سبب مقنع.
وافترضت جودي على الفور ان السبب يكمن في انه ورغم بقاء فترة الستة أشهر ربما علم بقرب وفاته قبل ذلك . . . ورغم ذلك لم

تقتنع جودي بالسبب، بل علمت بأن بعض عجلته يعود الى رغبته في الزواج من الفتاة التي انقذت حياة ابن أخيه. . . خاصة بعد لقائه بها.

حان الوقت اخيراً لاطلاعه على الحقيقة. . ورغم انها فتحت فمها للتصريح بذلك الا انها كبتت رغبتها بصرامة. . . اي جنون هذا! لم تفعل هذا؟ هي الفتاة الصريحة طوال حياتها؟ . . ورن في رأسها صدى كلمة الفشل. . لو تزوجت فيداس لن تعاني من الفشل ابداً. . ستكون امرأة غنية خلال ستة اشهر. . . أبعدت من ذهنها فكرتها الشريرة وحاولت مرة اخرى قول الحقيقة لفيداس.

ـ آسفة جداً يافيداس. . لكنك ارتكبت خطأ. . .

ـ كلا جودي. . .

قاطعها وعيناه تتفحصانها بنعومة وحزن. . كلا لم يكن حزناً بل اسفاً. . .

ـ كلا لم ارتكب خطأ. أريد حقاً الزواج منك. كما قلت لك هناك سبب جوهري. . . سبب لا يستحق التذكر الآن. تقبّلي فقط حقيقة اني سأتزوجك وفاء للجميل. تقبّلي عذري رجاء لأ انه يشكل جزءاً من رغبتي في الزواج. لا استطيع الانتظار. . . ليس هناك وقت. . .

قال كلماته الاخيرة بصوت متهدج فلاحظت جودي التماع عينيه وكأنه على وشك البكاء.

ـ قولي انك ستتزوجينني الآن يا جودي. . . قولي ذلك يا عزيزتي.

وقفت مرتجفة وفكرت بان حنة لن تعرف بالامر الى ان تعود. وحينئذ سيكون الأوان قد فات.

سيموت! كانت فكرة مخيفة. كيف يمكن لرجل بمثل هذا المظهر والقوة المعاناة من مرض خطير؟

ـ عرفاناً بالجميل؟ تمتمت جودي بشفتين مرتجفتين وشارفت

الاحساس بالمرض.

ـ وفاء بالدين. . .

كلا ليس من حقها تقبّل عرفانه بالجميل. . انه حق حنة وحنة وحدها.

ـ انك لا تريدين مني قول ذلك؟ مع ذلك أنا مدين لك يا جودي.

وضع كوب قهوته جانباً وامسك احدى يديها المرتجفتين بين يديه:

ـ دعيني استدد ديني بطريقة اختارها.

توقف عن الكلام فلاحظت انهمار دموعه وتملكتها الرغبة في الامساك بتقبيلها وتجفيف دموعه ومواساته.

ـ ستفهمين ذات يوم. ولن تنقضي فترة طويلة على حلوله. اني لا اعرف سبب رفضك الزواج فوراً وتأجيلك اياه، ولكن اذا لم تتزوجيني الآن ستفلت الفرصة من بين ايدينا.

تساءلت جودي بطريقة آلية:

ـ تفلت الفرصة؟ لماذا يافيداس؟

هز رأسه قائلاً:

ـ عزيزتي جودي. .

وشدّ على يدها بقوة آلمتها ولاحظت مرة اخرى ان وراء استعجاله سبباً آخر غير المرض، سبباً اصبح يحفزه بعد لقائه بها. . هي جودي لاتكهام الحقيقية. ترى هل لأنه اصبح يودّها؟ وانتظرت بلهفة ان يقول شيئاً يريحها. وأحست بالارض تدور به وكأنها تستعيد احاسيس عاشتها منذ زمن بعيد.

ـ عزيزتي جودي. . لا تسألي شيئاً. . قولي فقط انك تقبلين الزواج مني فوراً.

نظرت الى يده الشادة على يدها بقوة اظهرت لون عروقه بوضوح رغم لون بشرته الداكن. وبقيت للحظات محدقة فيه فعرفت ما

يتوجب عليها قوله في تلك اللحظة.
وانني لست جودي لانكهام التي راسلتها، انها ليست هنا، بل غادرت انكلترا. وبدلاً من قول ذلك قالت جودي بلهجة ناعمة وصوت هادىء:
ـ سأتزوجك يا فيداس فوراً.

٣ - اللعبة الخطرة

دعاها فيداس لتناول العشاء في مطعم جميل يقع على مقربة من القرية. وتناولا وجبة الطعام على ضوء الشموع، وكانت ارضية المطعم مفروشة بسجادة ذات لون قرمزي والنار متأججة في موقد قديم الطراز تمت المحافظة عليه ليضفي على المكان جوا خاصاً.

كانت جودي مضطربة واحست بالخوف مما تفعله وحاولت عدة مرات النطق بالحقيقة. لكنها واذ جلست مقابل الغريب الوسيم القادم من الشرق اعتصمت بالسكوت وشعرت بالانجذاب نحوه فتلاشت فكرة مصارحته بالحقيقة من ذهنها. كان الأمر غير مهم، واقنعت نفسها بأن ما كان مهماً هو جعل هذا الرجل سعيداً في الشهور

المتبقية من حياته. ولم تثر فيها فكرة الزواج نشوة تصورت ان كل فتاة تحلم بها. اذ كانت بطبيعتها فتاة خجولة ومن الرجال خاصة. فاستغربت هي نفسها جلوسها بهدوء وتبادلها الحديث مع رجل غريب ستصبح زوجته قريباً. الا ان فيداس بالنسبة لها لم يزل غريباً وابعد ما يكون عما رسمته في مخيلتها من صورة لزوجها في المستقبل. تبادلا الحديث في المنزل فترة طويلة قبل ان يقترح فيداس الخروج لتناول العشاء.

وحدثها عن عمله. ورغم انه لم يذكر شيئاً عن ثروته الطائلة الا انه ذكر لها الحقيقة عن منزله وحديقته، وعن شقته في اثينا والفيلا الواقعة في جزيرة كاليموزز الساحرة.

- سنذهب الى الجزيرة لقضاء شهر العسل، وستسرين لرؤية الجزيرة يا جودي.

واخبرته بدورها عن حياتها. كانت في البداية مترددة اذ لم تعلم مقدار ما يعرفه عن حنة من خلال رسائلها، الا انها ايقنت بعد قليل انه لا يعرف شيئاً عنها، اذ كانت رسائلها قصيرة ومختزلة. وحاولت تجنب الحديث عن حنة التي لن يلتقي بها ولا يعرف عن وجودها. عرف فيداس جودي لانكهام فقط ولن يعني له اسم حنة شيئاً. وبما انه لن يكتب لها فستظن حنة انه قبل شرطها وانه باق في انتظار رسالة منها تخبره فيها عن استعدادها للزواج.

حينئذ لن يكون فيداس حياً...

فكرت جودي بالموت مرة اخرى حين كانا جالسين في الصالة يرتشفان قهوتهما، فأحست بالكآبة تطغى عليها. ولأول مرة سمحت لنفسها بتخيل ما سيحدث، رأت نفسها مع فيداس في النهاية ثم حياتها لوحدها بعد ان تقضي فترة الستة اشهر معه كزوجة وصديقة. سيكون زواجهما مبنياً على اتفاق متبادل وليس الحب بالطبع، الا انها لم تستطع تجنب مخاوفها من الوحدة والهوة العميقة الماثلة امامها بعد وفاة زوجها.

خاطبها بصوت متلهف حين رأى القلق مرتسماً على وجهها:

- ما الذي تفكرين به ويجعلك مهمومة الى هذا الحد؟

ابتسمت وبدا لها من البديهي ان تفعل ذلك بسرعة لتجنب القلق:

- لا شيء مهم يا فيداس.

وسألها عما كان السبب وراء تركها لوالدها وزوجته.

فأخبرته عن مشاكلها مع زوجة والدها وقرارها بمغادرة المنزل. قال:

- يجب ان آتي لزيارة والدك...

ورفع قدح القهوة عن الطاولة الصغيرة الموضوعة امامهما، فلم يسمع توضيحها الأخير. فكرت جودي ان كل شيء حدث بسرعة لم تدع لها فرصة للتفكير جيداً... ماذا عن الزواج؟ كيف تستطيع الزواج دون علم زوجة والدها؟ اليس لن تترك فيداس جاهلاً بحقيقة اقدامه على الزواج من الفتاة الخطأ.

واخيراً توصلت الى التفكير بحل:

- بما انني لست على علاقة جيدة بزوجة والدي فلا اظنها سترغب بمقابلتك. اما بالنسبة لوالدي فاستطيع تدبير امر لقائك به في مكان ما خارج المنزل. في مطعم مثلاً؟

- هل الأمر سيء الى هذا الحد؟

اومأت برأسها موافقة ورغم ارادتها ارتعشت شفتاها لذكرى الشجار الأخير بينهما.

- نعم الأمر سيء جداً...

- اذن جاء عرضي للزواج منك في الوقت الملائم... اليس كذلك؟

- نعم...

قالتها باخلاص تام ناظرة في عينيه فأحس بصدق مشاعرها.

- يجب عليك اذن تدبير اللقاء في مكان آخر. ربما سيكون من الافضل لقاؤه في الفندق. . . لكنني لن احجز للبقاء فيه. هل تعرفين مكاناً آخر؟

- نعم هناك فندق في بريدبورت، لا يبعد عن القرية الا اميالاً قليلة. ليس كبيراً الا انه مريح، وسترتاح فيه.

- وهل هناك مكان نستطيع التحدث فيه. . .

- بالطبع ويمكنك لقاء والدي هناك. . .

وبدا عليها القلق من جديد فقال:

- لا بد ان والدك يعرف بانني عرضت عليك الزواج، لذلك لن يكون من الصعب دعوته للقائي. . . اليس كذلك؟

ابتلعت جودي ريقها بصعوبة. . . هذه صعوبة جديدة تواجهها ولم تفكر بها من قبل. مما دفعها للتندم من جديد على قبولها الزواج منه، كمهرب مماثل لقضائها رحلة قصيرة بعيداً عن البيت.

- نعم يعلم والدي انك عرضت علي الزواج لذلك لن يكون من الصعب قدومه للقائك.

- حين جئت لزيارتك ولاقناعك بتغيير قرارك بصدد الزواج، لم اتوقع لقاء شابة ساحرة مثلك. هل تعلمين بانني لو ارغمت وفي ظرف آخر اختيار زوجة لي لما استطعت ايجاد فتاة اكثر سحراً وجاذبية منك؟

احمر وجه جودي لملاحظته فادارت رأسها جانباً. ورغم احساسها القوي بالذنب بسبب ذلك وشعرت بالفرح لمديحه. لأنها كانت المرة الأولى التي يمدحها فيها رجل بهذه الطريقة.

واستطاعت اخيراً اجابته:

- شكراً للطفك البالغ.

- انها الحقيقة فقط.

كان ذلك كل ما قاله ثم غادرا المطعم الى الفندق بسيارته الكبيرة. واخبرها انه استأجرها بعد نزوله من الطائرة، واوضحت له جودي

الطريق الى الفندق حيث استطاع حجز غرفة له، ثم رافقها الى البيت ودعته للبقاء عدة دقائق الا انه بقي فترة طويلة. ولم تبد عليه الرغبة بالمغادرة، مما اثار جودي لأنها علمت انه انما يحاول استغلال كل دقيقة بقيت له. ثم ان بقاءه يحمل معنى آخر، هو سعادته الى جانبها. فاحست في داخلها ان تسعده في كل لحظة طوال حياته، ولن تسمح لأي خلاف ان ينشب بينهما ولا لكلمة جارحة ان تقال.

واخيراً قرر المغادرة فاصطحبته الى الباب. كان ضوء القمر غامراً فوقها في الحديقة ورائحة الزهور تملأ الجو. قال بنعومة وحنان:

- ليلة سعيدة يا جودي. . .

فاحست بتسارع دقات قلبها. واذ امسك بيدها ليقبلها حدقت في عينيه فرأت في عينيها المودة والالفة. بقيا صامتين فترة لم يدركا طولها، فكررت:

- ليلة سعيدة يا فيداس.

واقترح عليها التجول في الريف والتوقف في اماكن مختلفة لتناول وجبات الطعام. اما يوم الاثنين فاقترح اخذها الى دورجستر للاعداد للزواج، ثم قضاء بقية اليوم في بورلوك.

- سآتي في العاشرة صباحاً.

ورفع يده لتحيتها عندما بدأ قيادة السيارة. وراقبته جودي وهو يبتعد ثم استدارت ببطء لتدخل البيت وتواجه واقع الحلم الجميل. واذ مرت الدقائق تحول الواقع الى امر لا معقول، وتخيلت فيداس واحداً من ابطال الاساطير اليونانية القديمة.

ذهل والدها وبقي يحدق دون ان ينطق بشيء حين اخبرته جودي الحكاية بعد عودته من اجازته القصيرة. واذ انتهت من توضيح الأمر انتظرت تعليقه بنفاد صبر. الا انه اكتفى بهز رأسه وعلى وجهه علامات التعجب.

واصغت له اذ اخبرها بانها كانت مجنونة لاعتقادها بانها ستتزوج

دون افتضاح امرها.
- في اللحظة التي ستوقعين فيها الأوراق الرسمية سيعرف انك لست من كان يراسلها ووقعت الرسائل.
نظرت جودي الى الصورة الموضوعة على الخزانة:
- كنت اتردد على التوقيع عليها وكما وقعت على الصورة.
وانعقد لسانها بل اذ كان يحدق بابنته.
- جودي ماذا جرى لك؟ انه احتيال وتزوير... هل تعرفين ذلك؟
صمتت للحظات فاستعادت ذكرى يومها... كم كان اليوم رائعاً! لقد امضيا وقتهما كما لو كانا يعرفان بعضهما منذ سنوات. اشترى لها خاتم خطوبة والبسها اياه اثناء وقوفهما في حديقة الفندق حيث ذهبا لتناول الغداء. اما خاتم الزواج فقد احتفظ به في جيبه. تمشيا قرب الساحل. وتماسكت يداهما فكانا عاشقين حقيقيين ثم جلسا على مصطبة يتأملان البحر ويتحدثان من حين لآخر او يتبادلان ملاحظة ما عن احد المارة. وكانا محظوظين اذ اشرقت الشمس طوال اليوم. فكان الجو دافئاً ومشرقاً.
- اعتبر الاحتيال مشروعاً يا والدي. فلا يستطيع فيداس الزواج من حنة لأنها غير موجودة هنا ولأنها اختارت العمل بدلاً منه، ولأنه لا يستطيع الانتظار فلن يكون بمقدورهما الزواج ابداً... انه بحاجة الي.
هز رأسه من جانب لآخر وبقي صامتاً بصمت. واخبرته كل شيء حتى بمشاعرها الخاصة نحو فيداس... عاطفتها وقرارها بجعله سعيداً طالما بقي حياً. ليس هناك عامل احتيال في عواطفها مهما كانت الأسباب...
- ماذا عن النقود التي سيتركها لك؟ هل تحاولين اخباري انها لا تعني لك شيئاً؟ وانها لم تؤثر عليك لاتخاذ هذا القرار غير المعقول؟
ترددت قليلاً قبل ان تعترف انه كان للعامل المادي تأثير عليها في

البداية.
- لكني وبعد فترة قصيرة اكتشفت انه ليس المال.
واذ لاحظت صمته ونظرات عدم التصديق واصلت:
- لا اتوقع منك تصديقي الا انه ليس للمال اهمية بالنسبة لي.
سألها والدها وحل محل سخريته المريرة احساس بالقلق.
- هل تحاولين القول انك تحبين الرجل؟
- كلا بالطبع، الا انني اشعر بالأسف من اجله. يؤلمني التفكير بانه سيموت وهو شاب وستتملكني الاحاسيس ذاتها حين التقي به.
- من المحتمل ذلك... اذ ان حالة اي شخص مثله تثير الشفقة عند الجميع. الا انني مسرور لأنك لم تقعي في حبه.
- هل ستأتي لملاقاته مساء اليوم؟
ودل صوتها على القلق واللهفة. ورغم انها اخبرته بانها ستتزوج بفيداس سواء حصلت على موافقته ام لا، الا انها تحب والدها وتفضل ان يتم كل شيء برضاه.
اخبرت جودي اليس بانها ستغادر المنزل بعد يومين لعثورها على عمل في شمال انكلترا. وتلقت اليس الخبر بدون رد فعل، اذ كانت تعلم ببحث جودي عن مكان آخر ورغبتها في التغيير. حتى انها لم تسأل جودي عن عنوانها الجديد لتحول اليها رسائلها، الا انها اكتفت بالقول ان والدها سيقوم بذلك.
- بالطبع سآتي لزيارته.
اومأ والدها برأسه اثناء حديثه مشيراً الى شقة اليس في الطابق الأول اذ كانت تستعد لزيارة شقيقتها.
- تترك اليس البيت عادة للحاق بباص الساعة السابعة والنصف.
- وسنغادر نحن في الساعة الثامنة.
تزوجت جودي يوم الجمعة بعد ان غادرت البيت يوم الخميس

لتسافر الى شمال انكلترا حسب ما اخبرت زوجة ابيها. الا انها قضت ليلتها في فندق دورجستر. اما والدها فقد ساورها قلقاً بعد لقائه بفيداس. وترك البيت كعادته صبيحة يوم الجمعة بحجة الذهاب للعمل، الا انه بدلاً من ذلك توجه الى الفندق حيث كانت جودي. وغير ملابسه ليرتدي بذلة هربها من البيت مع حقائب ابنته.

قالت جودي بعد عودتها الى الغرفة:

- انك تبدو انيقاً.

- انت الاخرى تبدين جميلة وانيقة.

ادركت جودي انه بنظراته المتفحصة لملابسها، كان يحاول تقدير ثمنها. لقد اصر فيداس على شراء البذلة ودفع ثمنها ولم تعترض هي لعلمها برغبته في اسعادها.

كان فيداس رائعاً في بذلته الرمادية الغامقة الثمينة. كان طويلاً وبدا بصحة جيدة. امسكت جودي انفاسها اذ لاحظت نظراته المتفحصة ثم ابتسم بحنان مأخوذاً بقوامها وخصرها النحيل وكتفيها المخروطين. واحمر وجه جودي فزاد التأثير من جمالها والتماع عينيها الخضراوين.

- انك جميلة جداً يا جودي وسعيدة... هل انت سعيدة؟

اومأت برأسها وتساءلت:

- هل انت سعيد يا فيداس؟

- اني سعيد الى اقصى حد ممكن يا جودي.

الى اقصى حد ممكن... ان لكلماته معنى عميقاً لا يفهمه احد سواهما. بعد انتهاء مراسم الزواج، دعاهما فيداس لتناول الغداء وكانت معنوياته عالية وبدا فرحاً جداً. ثم حلت لحظة الوداع فدعا والدها لزيارتهما واندهشت جودي اذ وافق والدها وقال بانه سيدخر بعض المال ليدفع ثمن التذكرة وليزورهما في وقت قريب هذا العام.

اراد فيداس ان يعرض على والدها دفع ثمن التذكرة الا انه تلقى

نظرة تحذير سريعة من جودي فامتنع عن ذلك لئلا يشعر الوالد بأن جودي اخبرته تفاصيل مشاكله المالية.

في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، وصل الاثنان الى رودس، اكبر جزر دوديكانيسي الاسيوية الجو والواقعة قرب آسيا الصغرى. وقررا قضاء ليلة شهر العسل الاولى في الجزيرة قبل ان يواصلا رحلتهما صبيحة اليوم التالي الى بيته في جزيرة كاليمنوز.

قال فيداس تعليقاً على نظرات اعجاب جودي في طريقهما الى فندق ديس روزيز:

- جزيرة الزهور، اجمل جزيرة يونانية كما يقول البعض.

- وماذا تقول انت؟

- افضل مكاناً اقل ازدحاماً. جزيرة كوس جميلة لانها تحتوي على مختلف انواع الزهور الجميلة وخاصة ما زرعه الايطاليون فيها، ثم انها اكثر هدوءاً من هذا المكان ولا يرتادها عدد هائل من السياح.

- وماذا عن كاليمنوز؟

- آه كاليمنوز! انها جزيرة يونانية خالصة بدون سياح... تزورها السفن السياحية احياناً ولكنها لا تبقى فترة طويلة لحسن الحظ. ولا يزال في امكان المرء الانفراد بنفسه قرب سواحلها في الصيف.

- لا بد انها مكان رائع.

وانتابها الخجل اذ فكرت مسبقاً بما سيحدث في ليلتها الاولى معه. فهو لا يزال رجلاً غريباً رغم توثق علاقتها به في الايام القليلة الماضية. واحاطت بها الاضواء بعد تلاشي الغسق وحلول الظلام...

اجاب بنعومة:

- انه مكان رائع لقضاء شهر العسل. وانا متأكد بانك ستحبينه كثيراً.

وابطأت السيارة بهما فقال:

- ها نحن اخيراً... هل تحسين بالتعب لطول الرحلة؟

ـ كلا. بل تمتعت بها كثيراً. كانت رحلة مثيرة. . . فانا كما ترى لم اسافر كثيراً في حياتي.

ـ هل عشت طوال الوقت في القرية الصغيرة؟

ـ نعم. وكما اخبرتك، عشت مع والدي لوحدنا اكثر من عشرين عاماً.

وتذكرت جودي كيف كانت حذرة في البداية من الاشارة الى حياتها الخاصة مخافة ان تكون حنة قد ذكرت شيئاً مخالفاً. الا انها تذكرت بمرور الوقت ان حنة لم تذكر شيئاً خاصاً في رسائلها. واثار الامر استغراب جودي لان حنة مهووسة بالحديث عن نفسها. الا انها اقنعت نفسها بانها لم تجد ما تقوله لهم الطفل الذي انقذت حياته، خاصة وانها لم تلتق به. ولم يهمها امره حتى استلمت الرسالة الاخيرة. الا ان توقيت الرسالة جاء في وقت كانت فيه حنة مشغولة باشياء اكثر اثارة من الزواج برجل غني مثل فيداس.

ـ انك في الحادية والعشرين من عمرك!. . . يا له من عمر جميل.

ونظر بعيداً وبدا عليه الوجوم فتساءلت جودي في قرارة نفسها عما كان يتذكر في تلك السن، حين كان المستقبل كله لا يزال امامه، او هذا ما اعتقده على الاقل.

توجها الى غرفتها في الفندق، غرفة وردية وملونة وذات تأثيث حديث. وسبقت جودي نجلها في تفحص الاثارة والاكتشاف للمكان. وحين اقترب منها فيداس ليضع ذراعه حولها شعرت بانه امر طبيعي يكمل ما قاما به سوية حتى تلك اللحظة. واذ سألها:

ـ هل انت خائفة يا عزيزتي؟

نظر في عينيها فقرأ الجواب دون ان تنطق به:

ـ كلا، لست خائفة يا فيداس.

وقال بعد ان اغتسلا وغيرا ملابسهما وشعرا بالراحة بعد التعب:

ـ لن تأكل في الفندق الليلة. . . سنذهب الى مطعم تركي يدعى

رجب سبارثالي.

واستدعى سيارة أجرة قادتهما عبر شوارع وساحات بدت لجودي وكأنها بفسيحة اللون وذات ظلال خافتة، ثم الى منطقة اكثر اضاءة ادركت جودي انها مركز المدينة.

ـ بم ترغبين؟

وناولها قائمة الطعام. الا انها ابتسمت وقالت له:

ـ لا ادري. . . اختر انت الطعام.

فاختار فيداس انواعاً مختلفة من السلطة واللحوم المشوية.

في طريق العودة، غادرا التاكسي عند منتصف الطريق، وسارا بقية المسافة. كانت الشوارع مرصوفة واضاءتها ضعيفة الا ان عبير الزهور كان يغمر كل شيء فيمنح الجزيرة جوها الخاص الشبيه بالحلم.

كان السياح في المقاهي يأكلون الطعام اليوناني اللذيذ، الجبن والكفتة والكباب. وتوقف فيداس وجودي قرب احدى العربات حيث كانوا يعدون الكباب. واذ وقفت جودي الى جوار فيداس مندهشة ومتعجبة لكل شيء اضافت قائلة انها في حياتها كلها لم تكن سعيدة بهذا الشكل. كانت كلماتها طبيعية وتلقائية مما افرح فيداس فوضع يده على كتفها وخفض رأسه ليهمس شيئاً في اذنها، بعد ان لاحظ مراقبة المارة للزوجين. . . الفتاة الانكليزية الجميلة واليوناني الوسيم:

ـ ستكونين اسعد بكثير يا جودي حين تتاح لنا فرصة معرفة بعضنا الآخر بشكل افضل.

احمر وجهها فشدها اليه ليشعرها بالاطمئنان. . . يا له من عالم غير حقيقي ذلك الذي خطت فيه! حين وافقت على الزواج منه، احست ومنذ البداية بقوة تدفعها لاتخاذ هذا القرار اقوى من ارادتها. . . وها هي تدرك انها منجذبة نحوه بكل عواطفها ومشاعرها وقت في الايام الاولى انها، وكما قال والدها، لا تحس

نحوه بغير الشفقة. ولكنها الآن ضحية مشاعر اخرى.. مشاعر ترقب وتوقع لشيء آخر طالما حلمت به... ونظر فيداس الى وجهها الخجول... ما الذي يجول بخاطرها الآن يا ترى؟

٤ - ستعود ذات يوم

ابتعدت عنه قليلاً وأدارت رأسها. كان نائماً بسكون وبدا على وجهه الهدوء التام. فانقبض قلب جوني. الا انها قررت، دون ان يتطرق اليها الشك بصدد مشاعرها نحو زوجها، ان تعيش وتفكر بالحاضر فقط وان تتمتع بكل دقيقة ممكنة مع زوجها. الا سيكون امامها العمر كله للحزن والألم بلا شك... زمن ستستعيد فيه ذكريات الحاضر وسعادتها معه. نعم ستكون ذكرياتها سعيدة وهي مصرّة على جعل كل ذكرى سعيدة.

- حبيبي...

وتحرك زوجها في الفراش الا انه عاد يتنفس بانتظام. لمست شعره الأسود بيدها وداعبت جبينه الا انه لم يصح من نومه. لا بد ان زينا

فوس وزوجته اتيجون صاحيان الآن، فهما يتكرّان في النهوض علقة. الا انهما يبقيان في هدوء الى ان يسمعا صوت حركة سيدهما وسيدتها في غرفة النوم الكبيرة المطلة على مشهد البحر الجميل. اما النافذة الاخرى فتطل على جبال شاهقة، مرتفعات غامقة اللون خلقتها الانفجارات البركانية في قديم الزمان. اما حديقة الفيلا الواسعة فمزدحمة بالنباتات الاستوائية وشبه الاستوائية مع اشجار الزيتون السحيقة والليمون والبرتقال والجوز. أخبرها فيداس انه اشترى هذه الارض منذ فترة قصيرة فقط.

وابتسمت اذ صحا من النوم وأحاط خصرها النحيف بذراعيه.

ـ يا زوجتي الحلوة العزيزة.. كم مر على زواجنا حتى الآن؟

ضحكت لطرافة سؤاله:

ـ اسبوع كامل! أتشعر بأنك زوج عجوز؟

ـ كلا لن اشعر بذلك مع زوجة جميلة شابة مثلك...

ولم تجب اذ يكفيها مجرد الاحساس بوجوده الى جانبها.

وخاطبها فيداس حين كان يحلق وجهه في الحمام بينما كانت تغتسل:

ـ جودي، هل يثير استغرابك، كما اشعر أنا، حدوث المعجزة؟

فكرت للحظات بكلماته وفهمت تماماً ما عناه بقوله:

ـ ان نحب بعضنا بسهولة ونعومة...

قالت وكأنها قرأت افكاره:

ـ نعم يا فيداس، انها معجزة حقاً.. أحس وكأنني أعرفك منذ زمن بعيد.

ـ ذلك ما أحس به أنا الآخر.

وتوقف عن الحلاقة ونظر اليها بحب وحنان:

ـ ان القدر غريب.. اذ ذهبت لقضاء عطلتك في كورفو وصدف ان اشرف ابن اخي على الغرق فانقذت انت حياته. ثم كتبت لك لاشكرك على صنيعك ولأعبر لك عن عميق امتناني... الا انني لم ادرك، حينئذ، ما سيترتب على ذلك من نتائج.

صمتت فتأملت يديها محاولة اخفاء احساسها بالذنب.. ولكن لم تعاني من عقدة الذنب؟ كانت تمنح فيداس اكثر مما كانت ستحصل حتى في أي لحظة من حياتها، حتى الضحكة الانانية التي قالت لجودي حين أخبرها عن اليوناني وعرض الزواج:

ـ من المحتمل فشل الزواج ولكنني لن أخسر شيئاً... أليس كذلك؟ اذ لو قررنا الانفصال فانه يجب ان يدفع لي مصروفاً شهرياً يتناسب وثروته الطائلة اضافة الى احتفاظي بالمجوهرات والفراء والاشياء المهداة الي... كلا لن أخسر اطلاقاً.

ـ اخبرني يا عزيزي، متى بدأت الاهتمام بي؟

ـ من الصعب تحديد الوقت. الا انني وبطريقة ما، انجذبت نحوك منذ اللحظة الاولى للقائنا.

أومأ برأسه دون ان تبدو عليه الدهشة.

ـ هذا ما احسست به ايضاً ولم يتطرق الي الشك في اننا سنكون بأتم السعادة.

كان صوته معبّراً عن قناعته وسعادته. فعلمت بأنه هو الآخر مثل احساسها بالدهشة والسعادة التي نزلت عليه بشكل مفاجيء. ولم يضيع لحظة واحدة دون ان يتمتع بها في أوانها. وتساءلت جودي في قرارة نفسها عما سيكون رد فعله فيما لو علم ذات يوم بالحقيقة. الا انها لن تذكر شيئاً ولن تحاول الاشارة الى سره ابداً... اذ انها ستكتشف في نفس الوقت عن احتيالها.

هل سيحل اليوم الذي سيخبرها فيه بنفسه عن السر؟

ارتجفت للفكرة وهزت رأسها وتمنّت مخلصة ان يبقى صامتاً حتى النهاية.

- فيداس انتهيت من التحمم الآن وأريد ارتداء ملابسي.
- لا أحد يمنعك والمكان يكفي لكلينا.
اعترضت جودي على سلوكه:
- سأستخدم الحمام الآخر يوم غد.
- اقترحت ذلك عليك اليوم الا انك رفضت اذ لم ترضي بمفارقتي حتى مدة ١٥ دقيقة.
- يا لك من دعيّ ماكر!
ضحك فيداس فأضافت:
- لاحظت أنك لم تقترح استخدام الحمام الثاني.
- كلا، سأكون مجنوناً اذا حرمت نفسي من رؤية مشهد جميل.
احمر وجهها وقالت:
- انك لا تطاق يا فيداس.
- كلا يا عزيزتي.. اني مثلك لم أحتمل فكرة الابتعاد عنك حتى لربع ساعة.
هيأ لها المنشفة وقال لها بلهجة آمرة:
- انهضي الآن، لا بدّ ان الماء بارد.
نظرت الى المنشفة وقالت:
- ليس من الأصول بقاؤك بينما أنشف نفسي.
ضحك فيداس قائلاً:
- انك لن تنشفي جسمك بل سأفعل ذلك بنفسي.. والآن انهضي بسرعة. ألم تعلمي بعد ان الزوج في اليونان هو السيد؟ ألم يعلمك أحد ان الزوجات يطعن أوامر أزواجهن؟
- نعم اعرف ذلك.. الا انني زوجة غير مطيعة.
- حسناً جداً سأغادر المكان ولكن تذكري ان الافطار في انتظارنا.
كان الافطار جاهزاً في الشرفة حيث النباتات المتسلقة تغطي حتى الجدران. وقد نسقت الأزهار حول المكان بشكل أضفى على الشرفة

سحراً خاصاً. كل شيء متوفر في هذه الجزيرة.. البحر والجبال والساحل الذهبي، اضافة الى السماء الزرقاء الصافية وعطور الأزهار الفواحة. والجزيرة مقر لغطّاسي الاسفنج الشجعان، وتقع الى جنوبها جزيرة كوس، وهي جزيرة ابقراط الملقب بأبي الطب.
قدمت لها اتيجون عصير الفاكهة أولاً ثم البيض المقلي مع الخبز، والمربى والزبدة المحلية الرائعة. كان الاثنان يرتديان ملابس خفيفة اذ كان في نيتهما قضاء وقتهما في الحديقة حتى وقت الغداء ليتوجها بعد ذلك الى البحر للسباحة. لم تكن جودي سباحة ماهرة لذلك اتخذت حذرها منذ البداية اذ تبقى قريبة من الساحل ومستخدمة كسلها كعذر لئلا يفتضح أمرها. واكتفى فيداس بالضحك ومداعبتها فتمنّت الاّ يلاحظ عدم اجادتها السباحة.
مر الصباح بسرعة ثم تناولا غداءهما المكوّن من اللحم المشوي والسلطة وتلا ذلك الحلوى المصنوعة في البيت.
قالت جودي حين جلسا في الحديقة لتناول القهوة بعد الغداء:
- لم اتناول طوال حياتي طعاماً لذيذاً مثل هذا. لا بد ان وزني سيزيد الى حد ان والدي لن يعرفني حين يأتي لزيارتنا.
- انك شابة ولن يزيد وزنك بسبب الطعام.
ومسح فيداس بنظراته يتفحصها فلاحظ تغيّر لون بشرتها بسبب الشمس مما زاد من جمالها. اما شعرها الذهبي ذو النهايات الحمراء فقد صبغت الشمس لونه قليلاً فابرز جمال عينيها.
- يا عزيزتي جودي.. انك اجمل فتاة عرفتها في حياتي.
وتسارعت ضربات قلبها واحمر وجهها فتحركت في مكانها بلا وعي.
قال:
- آسف يا عزيزتي اذا ازعجتك بغزلي الا انك ستعتادين على ما

لقوله بعد فترة قصيرة... لا تدعي ذلك يحرجك.

ـ ابداً. ستثيرني كلماتك دائماً.

ونظرت اليه بحب اذ راقبها وهو يرتشف قهوته.

ـ كيف يمكنني التعود عليها حتى تصبح غير فعالة؟ هذا مستحيل ما دمت أحبك...

لم يعلق فيداس على قولها بل جلس مفكراً. ثم قال بلهجة غير مؤكدة:

ـ اسبوع واحد... تزوجنا منذ اسبوع واحد فقط. وهذا الحب العظيم الشاغل بيننا. هل تدركين، يا عزيزتي، بأننا قبل اسبوعين لم نكن نعرف بعضنا؟

اومأت برأسها وعكست نظراتها عجبه ودهشته.

ـ لم نظن حين قررنا الزواج ان الامر سيتحول الى علاقة حب. اليس كذلك؟

قطبت جودي جبينها واصغت لما سيقوله:

ـ كلا.. ولكن هل تذكرين ما قلته لك.. انني انطلاقاً من رسائلك حكمت بأنك فتاة ساحرة؟

اطرقت برأسها. نعم، حنة فتاة قادرة على جذب اي رجل، ولو انها ارادت الزواج من فيداس لاستطاعت، بالتأكيد، سحره وشده اليها. ولكن سحرها وقتي وما ان ينتهي تأثيره حتى يكتشف فيداس لونها الحقيقي. اذ ان فيداس كان يريد بلا شك فتاة تفي بتوقعاته.. ولا بد ان زواجه بحنة كان سيكون أقسى لطمة تلقاها في حياته. واقشعر جسمها للفكرة، اذ ان زواج فيداس في الاشهر الاخيرة من حياته من فتاة وثق بها وظن انه سيقضي معها وقتاً سعيداً ثم اكتشف بعد ذلك عكس ما توقع، كان سيقضي على آخر آماله. نعم احتالت هي بانتحالها شخصية حنة ولا بد ان تحذر من أن لا أمر ما يشير الى احتيالها. الا انها لم تندم على زواجها. اذ انها وفيداس يعيشان علاقة حب خاصة ومنذ لحظة لقائهما الاول. سمّى فيداس ما حدث معجزة

وهي تدرك احاسيسه تماماً ولِمَ وصفها بذلك الشكل.

حين كتب لحنة عارضاً عليها الزواج كان يأمل بالحصول على الصداقة وبعض الحب بعد الزواج. اذ انه، وكما قال، لاحظ ان من تراسله فتاة ذات سحر خاص. نعم، ربما كان يحبها قليلاً فقط الا انه لم يحلم بعلاقة حب رائعة بين الطرفين مثل ما جرى له ولجودي.

رفعت رأسها فلاحظت انتظاره لتعليقها:

ـ أنا مسرورة لانني لم اخيّب ظنك...

وبدا من الواضح انها لم تجد كلمات اخرى تعبّر بها عن احاسيسها، فضحك زوجها وطلب منها إتمام شرب قهوتها، اذ حان وقت ذهابها الى الساحل.

سارا على الرمال الذهبية باتجاه الكوخ الساحلي والذي تعود ملكيته لفيداس حيث يقع على الجزء البعيد من أرضه الخاصة. وغيّرت جودي ملابسها فارتدت بدلة السباحة بينما حملت بيدها المنشفة الكبيرة. وكذلك فعل فيداس. كما بدا رائعاً في صحة جيدة بجسمه الطويل القوي. وتراءى لها ان اصابته بأي مرض كانت شبه مستحيلة.

أمسك بيدها وركضا نحو البحر. قالت:

ـ انك تجعلني اشعر وكأنني في السادسة عشرة.

وذلك حين ترك يدها اخيراً وبدأ السباحة بقوة، مترقباً اياها، في انتظار ان تسبح الى جانبه.

ـ تعالي... اسبحي بسرعة وبقوة... لن اسمح لك بالكسل اليوم.

وازدادت المسافة الفاصلة بينهما:

ـ ارجو ان تتركني لوحدي يا فيداس.

ثم استدارت وطفت على سطح الماء تحت أشعة الشمس الحارة.

ـ هذا ما أحب فعله حقاً.

- حسناً جداً سأصطحبك لأننا ما زلنا في فترة شهر العسل.
استرخت وبدأت السباحة. كل ما كانت بحاجة اليه هو التمرين والتمرين فقط.
وعادت معه الى الشاطىء. تمددا على الرمل ثم شربا بعض عصير الفاكهة الذي جلبه فيداس من الكوخ.
- اصبحت بشرتك سمراء.
ولمس ذراعها بنعومة.
- جودي ما الذي فعلته لأستحق هذا؟ اي قوة الهية ربطتنا معاً؟ حب كهذا يوجد ليدوم الى الأبد... ومع هذا...
وتخاذل صوته فلم تستطع النظر اليه بل اكتفت بإدارة رأسها جانباً. حب الى الأبد. نعم ان حبهما رائع الى حد تمنيا معه دوامه الى الأبد... نعم هذا ما كان يفكر به. الا انه حين استدار لم تلحظ في نظراته علائم الأسف والنقمة كما توقعت لأنه اراد ان يجنبها الحزن ولا يمنحها الا الذكريات السعيدة. امسك يديها بقوة فعلمت انه اراد بذلك اخفاء حزنه وسره الدفين. وكما قررت هي ان تغتنم السعادة في كل لحظة وان تشعره بالحب بلا توقف كذلك قرر هو ان يجعلها سعيدة. ان يتمتع بحاضره ويتفادى آلام التفكير بالمستقبل، ليمنحها ذكريات تمدها بالسعادة حتى بعد وفاته.
لذلك ومنذ تلك اللحظة لم يفكر أحدهما بشيء غير العيش في الحاضر والتمتع بكل لحظة، مانحاً احدهما الآخر نفسه كلياً، دون شجار او خصام او حتى نظرة واحدة تدل على الغضب او تكشف عن السر المؤلم...
بقيا في الجزيرة مدة اسبوعين آخرين. كانا كسولين، تمشيا على طول الساحل وتحت اشجار الزيتون. سبحا وجلسا تحت أشعة الشمس، ثم تناولا وجبات الطعام في اماكن مختلفة خارج المنزل، لأن المنزل كان صغيراً ولم تكن فيه غرفة طعام حقيقية. بل استخدما احياناً الصالة الصغيرة لتناول الطعام على ضوء الشموع. كانت

الصالة مواجهة للغرب تدخلها اشعة شمس الغروب فتنير المكان بلون أحمر بنفسجي دافىء. واعتادا الجلوس هناك قبل تناول الطعام ليلاحظا جمال ألوان الشمس... الأشعة الذهبية اولاً ثم الحمراء والبنفسجية واخيراً ظلال الغسق الساحرة تلفّ الجبال والبحر والحدائق الهادئة ذات الروائح العطرة بخليط من ألوان غريبة تتراوح بين البنفسجي والرمادي. واعتادا التجول في الحديقة بعد العشاء وتحت ضوء القمر. كانت الأشجار المزهرة تحيط بهما من كل جانب وتمتد حتى نهاية ارض فيداس عند الساحل... وفي الامكان من هناك رؤية ساحل آخر بعيد. كالمتوّر له ثلاثة اكواخ صغيرة وكنيسة تقع مقربة منها. كم كان المكان هادئاً! وفكرت جودي لو كان هذا الساحل موجوداً في مكان آخر من العالم لبنيت حوله البنايات الاسمنتية العالية، بنايات فاخرة لا يستطيع الاصطياف فيها غير الأغنياء. وفي أسفل التل كان الطريق موازياً للساحل تحيط به اشجار النخيل الباسقة التي تهز اغصانها بخفة نسيم الليل ما يبعد عنه شبح الوحدة.
ووصلا يوم مغادرتهما الجزيرة الى الميناء مبكرين فرأيا صيادي الاسفنج وهم ينطلقون الى ساحل شمال افريقيا، حيث يبقون هناك فترة خمسة شهور يغوصون فيها الى أعماق البحر ليجمعوا الاسفنج، مصدر رزقهم.
وجلسا سوية خارج احدى المقاهي المطلة على الميناء لتناول طعامهما:
- عزيزتي، ما رأيك بتذوق لحم الاخطبوط اليوم؟
- كلا، لا استطيع... سأتقيأ...
- لن يحدث ذلك... انك لا تعرفين ماذا تفتقدين... ما ان تتذوقيه مرة واحدة حتى تطلبيه كل مرة.
- ان طريقة لطمه بالصخور قاسية جداً. ثم تناولت قائمة الطعام [illegible] لديها، ونظرت اليها بوجوم.

ـ يكون الحيوان ميتاً قبل ذلك بفترة طويلة.
ـ انها طريقة قاسية مع ذلك. ثم كيفية تركه حتى تظهر الرغوة عليه. كلا، لا فائدة يا عزيزي.. لا استطيع أكل لحم الاخطبوط.
طلبت بعض اللحم والخضروات، الا انها فتحت فمها حين ناولها فيداس قطعة من اللحم. واغلقت عينيها ثم مضغت اللقمة مما جعل زوجها يضحك. تمتمت بدهشة:
ـ انه لذيذ، لذيذ جداً...
ـ قلت لك انك ستقبلين بتناوله.
وعلقت:
ـ سأطلبه المرة القادمة. لم اكن أعلم انه لذيذ الى هذا الحد.
شربا القهوة بعد ذلك ثم تناولا الحلوى وبعض الفواكه المجففة والجوز مع قدح من الماء البارد. واخيرا تناولا الجبن المصنوع من حليب الماعز مع الخبز الأسمر.
وسارا بهدوء باتجاه السفينة توموس التي يستقلها الركاب للقدوم والرحيل عن الجزيرة بانتظام وبالتبادل مع السفينة الاخرى ليندوس.
ـ انتهى شهر عسلنا.
ـ قالتها جودي بنعومة وهي تقف الى جانب زوجها على سطح السفينة. ونظرت بحزن الى الجزيرة والرجال الواقفين هناك. كانوا صيادي السمك، وقد بقوا بعد رحيل صيادي الاسفنج، ربما لأنهم تعبوا من مزاولة المهنة الخطرة او لأنهم كانوا متقدمين في العمر وغير قادرين على مواصلة السفر.
ـ كلا لم ينته يا عزيزتي.. سيستمر شهر عسلنا يا جودي ما دمنا نرغب باستمراره.
ابتسمت وضغطت على يده بحب.
ـ كان احساساً حزيناً لمغادرتنا الجزيرة فقط... كان وقتاً رائعاً

جداً يا فيداس... ولا أظن ان اي انسان قضى شهر عسل أفضل منا.
ـ اوافقك تماماً... لم تكن هناك امرأة اسعدت رجلاً مثلما فعلت انت في الاسابيع الثلاثة الماضية.
قالت بعد تردد قصير:
ـ هل كان يمكننا البقاء؟
ـ بالطبع. لكن يتوجب علي الاشراف على بعض الاعمال. صحيح انني تخلصت من الكثير من مسؤولياتي مؤخرا الا انني لا أزال اشرف على البعض.
ـ هل ستتركني فترة طويلة لوحدي؟
ولم تحتمل الفكرة.. اذ ان وقتها قصير وثمين.
ـ كلا ليس الآن يا عزيزتي.. كيف استطيع فراقك؟
ـ كنت أعمل في مكتب سابقاً. هل استطيع العمل معك ومساعدتك؟
ـ هل تريدين ذلك؟ هل تفضلين ذلك على فراقي؟ حتى ولو لمدة ساعتين يومياً؟
ـ بالطبع. انت تعلم ذلك.
تكلمت بحماس وبلا تردد وأضافت ضاحكة:
ـ هل تذكر مداعبتك لي بصدد الحمام؟ كانت حقيقة.. أردت ان اكون معك في كل لحظة.. فيداس، رجاء، دعني ابقى الى جانبك في كل لحظة.
واصبح صوتها جاداً وتلاشت ضحكتها. أحزنها التفكير بأن ما يشغله الآن هو ان يهيء لها حياة مستقلة ومريحة بعد وفاته.. اذ انه لا يريدها ان تعاني من التعقيدات فيما بعد.
وفجأة أرّقها الألم العميق.. يجب ان تتناسى بقوة لتواصل العيش في الحاضر ونسيان المستقبل.. يجب الاّ تدع لنفسها فرصة لتتخيل ما سيحدث.. كيف ستعيش بدونه؟

حجبت خلال دموعها ولم تعد ترى شيئاً:
ـ دعني أذهب معك.
وبدا وكأنه لمس عذابها فوضع ذراعه حولها. أطرقت برأسها ثم وبعد لحظات أشارت الى الجزيرة ملفتة انتباهه الى شيء آخر:
ـ انظر حيث تحلّقنا كم يبدو صغيراً والتلال... تكاد لا ترى الآن. ربما.. ربما.. سنعود ذات يوم، لنعد ذات يوم يا فيداس، لنعد ذات يوم أرجوك.
ـ اذا كان هذا ماتريدينه يا حبيبتي فسنعود ذات يوم.
الا انه اخبرها انها لم تر كورفو بعد ولا بيته. وأكد لها أنها ستحب الجزيرة لأنها اكثر اخضراراً من كاليمنوز ومعدل سقوط الامطار فيها أعلى.
ـ انها جزيرة خضراء، وجوّها غير يوناني الى حد ما.
جفت دموعها الآن وخاطرت برفع رأسها لتتحدث اليه:
ـ غير يوناني؟ لا اعرف ما الذي تعني؟
كانت تعرف بأن كورفو جزيرة يونانية كما تعرف موقعها...
ـ تأثرت الجزيرة بالغرب وخاصة بالحضارة الايطالية..
ـ آه، بسبب موقعها.. اذ انها بين ايطاليا واليونان.
ـ نعم، ومناخها مشابه لمناخ جنوب ايطاليا. والشتاء مشهور بأمطاره لذلك ستلاحظين وجود الغابات شبه الاستوائية التي تغطي جوانب التلال.
كان بيت فيداس قريباً من قرية لاكونيس الجميلة الهادئة الواقعة في الشمال الغربي من الجزيرة. وصلا هناك عند غروب الشمس وكانت سيارة فيداس في انتظاره. واذ كان كل شيء جديداً بالنسبة لجودي فانها لم تتوقف عن اطلاق صيحات الاعجاب والاستحسان طوال الوقت. الكهوف والينابيع والأفق الساحر.. كانت تستمتع بالمناظر الطبيعية الخارقة الجمال. واستدار فيداس متخذاً طريقاً جانبية الى لاكونيس. وبعد تركهما القرية خلفهما أطلا على منظر

البحر وساحله الذي يكسوه لون الغروب الأخاذ.
ـ فيداس! لم تخبرني انها بمثل هذا الجمال!
ـ قلت أنك ستحبينها.
واستدار بالسيارة من جديد باتجاه الفيلا ذات اللونين الابيض والازرق. كانت مبنية على تل يشرف على البحر وخلفها حقل قريب من اشجار الزيتون يغطي مساحة شاسعة. وقال اذ توقف بسيارته عند بوابة الفيلا:
ـ عزيزتي... انك في بيتك الآن..
أثارت تلك الكلمات عواطفها الجياشة فوقفت صامتة لا تعرف ماذا تقول فتقدم منها وأحاطها بذراعيه:
ـ تعالي ياحبيبتي. سأحملك الى البيت.
وأحست فجأة بالخجل امام الوجه المنحني أمامها، الوجه الداكن اللون بملامحه الصارمة والناعمة في آن واحد... كلا لم تخدع نفسها لحظة واحدة منذ البداية... انه انسان له ارادة قوية وصريحة يحصل على ما يرغب فيه عادة. ومرة اخرى أحست بانها ملكة تجذبها نحوه كل خلية في طبيعتها.
رفعها وسار بخطوه نحو البيت. وفتح الباب حال وصولهما خادم يوناني، ابتسم محنياً رأسه.
ـ مرحباً سيد فيداس وأنت ايتها السيدة.
واضاف اذ اجتازه فيداس:
ـ أقول ايتها السيدة. اذ كما اخبرتني في رسالتك انها سيدة وليست امرأة فقط... رغم انني لا اعرف الفرق.. مرحباً بكما. انك ستحبين كورفو كثيراً. فلدينا الشمس الساطعة وكذلك المطر الغزير لذلك تنمو اشجار الفواكه وتثمر لوحدها.
قاطعه فيداس قائلاً:
ـ سيروس، اخبرها ذلك في وقت آخر.. اذ اننا في أشد التعب والجوع.

تزال زوجته الا انه بقي ممسكاً بيدها:

ـ هل أعدّت ليدا العشاء؟

ـ نعم طبخت وجبة طعام انكليزية كما طلبت في رسالتك. . . ها هي هنا.

ظهرت المرأة القصيرة من مكان ما عند نهاية الصالة المفروشة. ابتسمت ونظرت الى يدي فيداس وزوجته وهما متشابكتا. ونطقت كلماتها ببعض الصعوبة الا انها كانت مخلصة:

ـ اهلاً بك في جزيرتنا يا سيدة فيداس. أتمنى الا تكوني سعيدة جداً مع زوجك وان يكون زوجك سعيداً معك.

قال فيداس وجودي سوية:

ـ شكراً ليدا.

وفكر فيداس بأنها لا بد قضت وقتاً طويلاً تتمرن على إلقاء كلمتها هذه وبناء على توجيهات من زوجها سيروس. ثم بدأت الحديث اليه باليونانية وأجابها فيداس عدة مرات بجمل قصيرة. واستدار ليقول لزوجته:

ـ ارادت ليدا وصديقتها زخرفة فراشنا ورفض سيروس لأنك انكليزية. كانت ليدا قلقة حول هذه المسألة فاخبرتها بأننا تزوجنا منذ فترة اسابيع لذلك لا تهم الزخرفة الآن.

ـ هل تعني ان الزخرفة من اجل الليلة الاولى فقط؟

ـ نعم، اذ تقوم فتيات القرية بزخرفة الفراش ثم يحمله والد العروس الى بيت العروسين بنفسه.

ـ يا لها من عادة جميلة.

خاطبت جودي ليدا الا انها سرعان ما ادركت ان المرأة اليونانية لم تفهم ما قالته. فترجم لها سيروس ما قالته فابتسمت لها.

قال سيروس عند ملاحظته زوجته تتمتم:

ـ انها لا تزال قلقة. . لأنها تنتمي الى قرية صغيرة في منطقة بلوبنيس حيث يسود الاعتقاد ان عدم اعداد الفراش وزخرفته

يجلب سوء الحظ وحدوث شيء للعروس. . .

ـ سيروس!

قاطعه فيداس بصوت حاد ولهجة قاطعة أدهشت زوجته:

ـ احمل حقائبنا الى الغرفة. . . ثم أعدّ العشاء.

٥ - الرسالة السوداء

غطى البحر ضباب كثيف، البحر الذي يفصل الجزيرة عن البانيا عبر خليج غوفيا. قاد فيداس السيارة عبر الجزيرة ثم شمالاً على الطريق الساحل لشربا الشاي في فندق كاستيلو الواقع في وسط متنزه جميل حيث، كما اخبرها فيداس، لا يتوقف العندليب فيه عن الغناء الى حد دفع العديد من الضيوف الى ترك الفندق. ودهشت جودي:

- يغادرون بسبب غناء البلابل؟ يا له من امر غريب. . اني احب الطيور وكنت غالباً استيقظ مبكرة لأقف عند الباب مصغية لغنائها. . ان هناك عدداً كبيراً من الطيور المغردة في دورست.

- انا الآخر احب الطيور. . .

خفت صوته للحظات وبدت على وجهه علائم الألم. تقلص قلب جودي ألماً. مضى حتى الآن ثلاثة اشهر. . مضت بسرعة في سعادة مع زوج يحبها. لذلك افترضت قضاء الثلاثة اشهر القادمة بالمتعة والسعادة ذاتها. . . ثم . . . استرخى فيداس واختفت علائم الألم فابتسم لها كما لو كان يود حمايتها من الآلام الى الأبد. ابتسمت جودي بدورها ومدت يدها فأمسك بها بحب.

كانت الشرفة التي جلسا فيها تواجه البحر. . . بحر ازرق هادىء مثل بركة تغطيها اشعة الشمس. واحاطت بها اشجار النخيل بعلوها الشاهق بينما انتشرت الزهور شبه الاستوائية في جميع ارجاء المكان. اما القلعة فكانت ذات مرة قصراً خاصاً له اثاث فخم وسجاد ثمين.

قالت جودي متأملة المكان:

- يا له من مكان رائع للعيش.

وافقها زوجها بايماءة من رأسه وسأل:

- هل تودين العيش في مكان مثل هذا يا جودي؟

هزت رأسها فوراً:

- اني احب بيتنا وافضله على اي مكان آخر.

فابتسم متفهماً:

- انه يشبه النعيم منذ جئت اليه. ما الذي جلبته معك يا جودي؟

اجابته ببساطة:

- لا شيء غير الحب.

ردد زوجها كلماتها:

- نعم لا شيء غير الحب، ولكن يا له من هبة جميلة.

وجاء النادل فطلب منه تقديم الشاي والكعك، ثم نظر الى جودي متسائلاً:

- هل تريدين بعض الفطائر؟

- كلا شكراً. يكفي الشاي والكعك.

اكلا وشربا وتحدثا. . . توقفا احياناً ليراقبا مجموعة من السياح المرحين رافقتهم فتاة يونانية ذات شعر مصبوغ والملل واضح على وجهها. واصحبا لما كانت تقوله للسياح عن الجزيرة بينما كانوا في انتظار الشاي.

- انها دليلة تعمل لسفينة تنقل السياح.

- لا بد ان زيارتهم لكورفو قصيرة اذن؟

- نعم. الرحلة تتضمن زيارة عدة جزر في فترة قصيرة، لذلك لا يجدون متسعاً من الوقت للبقاء فترة طويلة في مكان واحد.

- هل هذه سفينتك يا فيداس ، اعني السفينة السياحية؟

- كلا، كانت هناك واحدة رست في الساعة العاشرة صباحاً ولا بد انها غادرت الساعة الثالثة مساء.

- هل تعرف دائماً اماكن سفنك؟

- كلا، كنت اتابع ذلك في الماضي، اما الآن فقدت الاهتمام لكثرتها.

ولمح بمنظر الدهشة المرتسمة على وجهها فتابع توضيحه قائلاً بان بعضها سفن نقل صغيرة.

فقالت جودي فجأة:

- هل نستطيع الذهاب في رحلة سياحية ذات يوم؟

- هل تريدين ذلك؟

اومأت برأسها موافقة.

- يجب ان تحصلي اذن على ما تريدينه يا عزيزتي.

صمتت مفكرة بما سمعته، في اوقات مختلفة، عن اليونانيين وخاصة عن الأزواج. انهم متعجرفون يسيطرون على زوجاتهم، ولديهم امهات متخلفات، زوجاتهم مطيعات ولا يستطعن حتى التعبير عن رغباتهن الخاصة وغالباً يتبعن ازواجهن في كل مكان.

- وماذا عنك يا فيداس، هل ستستمتع بالسفرة؟

- ما دمت ستكونين معي، لا استطيع غير ذلك.

ثم سألته قلقة:

- بصراحة يا فيداس، لا اريد منك الذهاب ارضاء لرغبتي فقط.

- سأستمتع بذلك تماماً.

اكد لها فتخلصت من قلقها لتأكيده الصادق.

عادا عبر الجزيرة تاركين كورفو الجميلة وشوارعها الضيقة حيث تجولا فيها في وقت مبكر من ذلك اليوم. فرحت جودي كعادتها لاستكشاف الاماكن والزوايا، البيوت ذات الشبابيك الملونة وهدوء المكان. كانت الحدائق واسعة والاشجار مثمرة. الميناء مفتوح لاستقبال السفن والسياح وبدت الجبال من بعيد بلون غامق يزيد من زرقة السماء.

ولدى مرا باحدى القرى الصغيرة لفتت انظارهما مجموعة من نساء كورفو يرتدين ملابس العمل. . . قمصان بيض واوشحة تغطي رؤوسهن وتنورات رمادية طويلة. كن يحملن الكثير من الاشياء. . . فاكهة وخضروات اضافة الى لحوم الخرفان المذبوحة. لوحت النساء لهما وابتسمن بفرح حين استجاب الراكبان لتحياتهن.

- اني احب اهل بلدك يا فيداس.

- كلهم؟

ضحكت.

- كلهم!

- كلا. . .

- باستثناء واحد احبه اكثر من البقية.

امسك يدها ثم ضغط عليها قبل ان يضعها على المقود تحت يده. وهكذا بقيت طوال الرحلة الى البيت.

كانت الشمس على وشك المغيب حين وصلا الفيلا المبنية على تل. وبدأ الجو بالتغير اذ اصبح اكثر برودة وكأنه فقد حرارته ولونه بفعل السحر. وبدا الجبل رمادياً اضفى ظله عتمة كثيفة على المكان. وهناك، في الافق البعيد، نشرت اشعة الشمس الشفقية لوناً برونزياً

غريباً على سطح البحر وبدا وكأنه مزين بزهور بنفسجية مدت حضورها الرائع على طول الساحل الشرقي.

واذ وصلا البيت بقيت جودي في مقعدها بانتظار معانقة زوجها لها، الأمر الذي يفعله بتلقائية يومياً حتى اصبح عادة من عاداته التي تنتظرها بلهفة وحب.

وتوجها بعد فترة قصيرة الى غرفة نومهما البيضاء بعد ان قضيا يوماً سعيداً آخر. كانت الغرفة باردة ومعطرة برائحة الزهور الموضوعة في اناء قرب النافذة.

كانت الستائر مسدلة والنسيم عليلاً. اغلق فيداس الباب وبقي ساكناً في مكانه لحظات عديدة ناظراً اليها بحب ورقة. ابتسم، ومد ذراعيه ليتلقاها بينهما واسرعت لتحس بدفء جسمه... والتمست من جديد الا تفكر بالمستقبل، الا انها لم تستطع تجنب التفكير به وغشاها الظلام فابتعدت عنه مرتجفة... كيف ستواصل الحياة من بعده؟ كيف تعيش بدون زوجها..؟

- عزيزتي... ماذا حدث؟

نظرت اليه معتذرة واقتربت منه ثانية.

يجب ان تحذر ارتكاب هذا الخطأ مرة اخرى والا تكهن بحقيقة آلامها... ما الذي سيراه في عينيه الصادقتين لو نظرت اليه تلك اللحظة؟ هل ستجرؤ على ذلك؟ كلا لم تكن ترغب في رؤية الحقيقة...

- عزيزتي، حان الوقت لنفكر بتغيير ملابسنا استعداداً لتناول العشاء.

وكالعادة حلق وجهه بينما كانت جودي تستحم، ثم تركها لترتدي ملابسها في غرفة النوم واستحم بعدها.

وكالعادة ايضاً جلسا في الشرفة قبل العشاء وتناولا عصير الفاكهة. تحدثا بصوت منخفض وايديهما متشابكة كأنما يخافان ان تفلت منهما لحظة واحدة دون ان يكونا الى جانب بعضهما، مع جهل

فيداس بمرض جودي. استدعتهما ليندا لتناول العشاء وجلسا في غرفة الطعام ذات الأثاث الدمشقي والأنوار الجدارية الخافتة. كانت الزهور موضوعة في كل مكان، اذ لم يكن هناك ما يسعد ليندا اكثر من ترتيب الزهور بشكل جميل. وبعد تناولهما العشاء، تمشيا في الحديقة ثم ذهبا الى الممر الخارجي. واعتادا القيام بذلك كل ليلة تقريباً، فهما قد يتوقفان للاصغاء الى صوت بومة او لبعض الموسيقى المترددة في مكان بعيد، ثم يعودان الى بيتهما وحديقته الغناء.

وهكذا قضيا ايامهما معاً. وكما قال فيداس ذات مرة ان شهر عسلهما سيستمر طالما كانا يرغبان بذلك.

وكان فيداس يلجأ الى مكتبه لقضاء بعض الأعمال وجودي تساعده احياناً، الا انه اراد عدة مرات البقاء وحده فقدرت جودي وضعه وفهمت انه يريد اداء بعض الأعمال الخصوصية فتركته وحده.

بعد اسبوع من رحلتهما الى المدينة وفندق كاستيلو حيث شربا الشاي، كانت جودي تكتب رسالة الى والدها حين عاد فيداس من مكتبه اسرع مما توقعت. كانت جالسة في الشرفة قرب منضدة صغيرة والقى نظرة على الرسالة الا انها وبحركة سريعة طوت الرسالة لئلا يطلع على مخاوفها وما كتبته لوالدها بصدد ذلك ومن علاقتهما... لم تكن تلك المرة الأولى التي تذكر فيها لوالدها عن حبها الحماسي.. الا انها لم تستطع كبح زمام مشاعرها والتصريح بها علناً.

- الا تسمحين لزوجك بالقاء نظرة؟

ارتبكت ثم ضحكت لتخفي حرجها. كلا لا شيء يستدعي القلق الا حب زوجها وثقته لا حد لها. ولن يخالجه الشك ابداً.

- انني اضيع وقتي في الكتابة حين يكون زوجي معي، هل انهيت عملك؟

اومأ برأسه.

- لم أستطع التركيز... لذلك قمت لرؤية زوجي... في مكان العمل الانتظار.

احمر وجهها فرحاً لكلماته الرقيقة فلاحظ ذلك وابتسم.

- ألم تعتادي كلماتي بعد؟ يا لك من حبيبة ساحرة.

وإذ أمسك بيدها وقبل جبينها قال:

- بصدد الكتابة، هل استلمت رسالة والدك؟

- نعم شكراً. ولكن لا أتذكر أني أعطيتك إياها لتقرأها.

وإذ نظرت إليه باستغراب هز رأسه نفياً:

- ليست تلك الرسالة يا جودي، بل واحدة أخرى وصلت اليوم. كانت في الطابق الأول حين استلمتها وكنت متوجهاً إلى المكتب. دعوتك إلا أنك لم تسمعي. لذلك وضعتها جانباً. على أي حال سأذهب لأجلبها لك.

فور الشرفة فوضعت رسالتها في جيبها بسرعة... كانت على وشك الاكتشاف وتمنت بعمق لنجاحها في اخفاء الأمر. ما الذي سيحدث لو رأى خط يدها؟ لو أراد ذات مرة إلقاء النظر على احدى رسائلها؟ بحثت من مقعدها عند عودة فيداس فسلمها الرسالة.

- شكراً يا عزيزي.

فتحت الظروف ولاحظت ابتعاد فيداس ليجلس على المقعد البعيد مسترخياً. إلا أنه بقي يراقبها باهتمام وفكرت جودي بأنه بدا وسيماً وفي صحة جيدة بقميصه الأخضر، وهو هدية من جودي اشترتها له عند ذهابها إلى أثينا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

لم كتب لها والدها رسالتين في فترة قصيرة؟ تساءلت في قرارة نفسها وسحبت الرسالة من الظروف. قطبت جبينها إذ قرأتها فخاطبها فيداس متسائلاً عن السبب.

- اقرأها يا فيداس.

وناولته الرسالة بلا تردد، خاصة وأنها اتفقت مع والدها ألا يذكر شيئاً خاصاً في رسائله يمنعها من اطلاع زوجها عليه، الأمر الذي

شاع الثقة بينهما.

- انه يريد المجيء لقضاء عطلته هنا.

وابتسم موافقاً لزوجته.

- ليس هناك ما يستدعي تقطيبك؟

- اني محتارة، إذ كيف استطاع ادخار ما يكفي من المال للقدوم بهذه السرعة... من المستحيل ان يدخر ما يكفي خلال هذه الفترة القصيرة.

- حسناً، يبدو لي انه قادر على تدبير اجرة بحثه على الأقل.

بقيت جودي صامتة، لئلا تكتشف لزوجها الكثير عما يجول في خاطرها. إلا أنها قالت اخيراً... لا بد أنه لجأ إلى احدى الشركات السياحية حيث يستطيع المرء قضاء اجازته ثم يقسط الدفع فيما بعد.

- إلا انه أمر غريب. فوالدي يكره الاستدانة حتى في أقصى الحالات الضرورية وهذه الزيارة ليست ضرورية بالتأكيد.

إلا أنها فرحت في الواقع لفكرة زيارة والدها خاصة وان رسائلها لم تحو الكثير من المعلومات عما يجري له ولزوجته منذ ان تركتهما... ولعله يخفي عنها شيئاً ليجنبها القلق وهي لا تزال في بدء حياتها الزوجية.

- اذا كان الأمر كذلك... فلا بد من وجود سبب معين يدفعه لزيارتك...

وتفحص سطور الرسالة مرة أخرى.

- يجب أن أراك...

ترى هل هناك معنى خفي وراء تلك الكلمات؟

وقطب هو الآخر جبينه ففكرت جودي: كم من الرائع وجود زوج يشاركها كل شيء حتى القلق من اجل أمر صغير كهذا.

هزت جودي رأسها إلا أنها وقفت إلى جانب فيداس وقرأت معه الرسالة ثانية.

وكررت «يجب ان أراك...» كما لو كان هناك خط تحت كلمة

وتعبه. فقالت:

ـ هناك شيء مليح...

وابتلعت ريقها بصعوبة.

ـ فيداس هل تظن انه تعس جدا واكثر من السابق؟ هل تعتقد أن علاقته بأليس متدهورة؟

ـ لا أعرف يا عزيزتي انتظري حتى يأتي... اذ لن يوضح لنا القلق شيئاً.

وافقته، الا انها بقيت تفكر بالرسالة حتى المساء حين خاطبها زوجها بصرامة قائلاً:

ـ يكفي ذلك يا جودي.

كان صوته حازماً وعطوفاً في نفس الوقت.

ـ هل تفهمين؟

ـ نعم، فيداس.

وشعرت بالضعف لأول مرة منذ عرفته.

ـ آسفة لذلك.

وصل والدها يوم الجمعة. وذهبت جودي مع فيداس بسيارته الى المطار لملاقاته، وفي لحظة لقائها به كانت تشح نفسها السؤال عما حدث الا انه وبهزة خفيفة من رأسه حاذر ان يراها فيداس، فمنعها من السؤال. وحتى لو لاحظ فيداس توتره ويأسه فانه كان لبقاً ولم يشر الى شيء بل واصل الحديث معه طوال الطريق بشكل عادي. بينما جلست جودي في المقعد الخلفي قلقة ووحيدة. وفضح وجهها مشاعرها، لذلك قررت ان تبذل جهدها اكثر لتبتسم وتتصرف بشكل طبيعي.

حدق نيل للحظات في المنزل وقال لفيداس:

ـ يا له من مكان جميل...

ثم صمت فجأة وبدا وكأنه على وشك الانهيار.

فتبادل فيداس النظرات مع جودي وخاطبها:

ـ خذي والدك الى غرفته يا عزيزتي وسأكون جالساً في الشرفة عند عودتك.

وما ان وصلا الى الغرفة حتى قالت جودي:

ـ ماذا حدث؟ انها أليس بالتأكيد، ولكن ما الذي فعلته؟

صمتت حين لاحظت والدها يهز رأسه نفياً

وسعل عدة مرات قبل ان يقول:

ـ انها ليست أليس. جودي اعدي نفسك لتقبل صدمة كبيرة.

ـ قل لي بسرعة يا والدي.

ـ حنة... (قال بهدوء) في طريقها الى البيت.

ـ البيت؟

وللحظة فشلت جودي في فهم مغزى ما قاله والدها. فتكلمت بالغضب:

ـ لماذا تعود الى البيت؟ هل هي مريضة؟

ـ جودي...

وصمت لحظة ليمنحها فرصة فهم كلماته بدقة:

ـ انها عائدة الى البيت لتتزوج فيداس.

شحب وجه جودي وتشنجت اصابعها. كان الهدوء السائد في الغرفة اكثر من مجرد صمت. كان غشاء من الرعب التف حولها، رعب حصرها بين فكيه مثل وحش كبير. رعب منعها حتى من التفكير بوضوح. عبثاً حاولت استعادة صورتها مع زوجها وسعادتهما معاً. حاولت تصور الله العظيم عندما يطلع على الحقيقة الا انها فشلت. نظرت الى والدها، واقفاً هناك ووجهه شاحب، محدقاً فيها بصمت. فأحست بقطرات العرق تتناثر على جبينها. وظلت تكرر ما يشبه الهذيان:

ـ انه يحبني ورغم انه سيفهم موقفي ويعذرني وربما سيرميني خارجاً، الا انه لن يكرهني ابداً.

واغلقت عينيها. لا بد ان تعاستها ستنتقل الى زوجها ايضاً لأن

حبه لها كان قوياً عميقاً، وقد صرح بانه باق الى الابد، وهو محق في قوله.

بدأ والدها الكلام الا انها حاولت التركيز... نعم يجب ان تركز لتسمع كل شيء. سمعته يقول:

ـ علمت بأن خطأ ما حدث حين تسلمت اليس رسالة من حنة ولاحظت تغاير وجهها، الا اننا تشاجرنا في الليلة السابقة ولم اسألها شيئاً... على اي حال لا اتوقع ان تكرر اليس شيئاً يسيء الى صورة ابنتها المثالية.

وتوقف عندما فتحت جودي فمها لتقول شيئاً، ثم غيرت رأيها لتترك لوالدها فرصة توضيح ما حدث.

ـ ثم وصلت رسالة اخرى وقرأت اليس نصف الرسالة ثم نهضت من كرسيها لتذهب الى المطبخ. قررت بأني يجب ان ارى هذه الرسائل يا جودي... انتابني احساس غريب بصددها... احساس حذرني من محنة ما سيحدث. لذلك حين ذهبت لزيارة اختها، ذهبت الى غرفة النوم وفتحت الخزانة وبحثت عن الرسائل....

وصمت اذ علم بانه كشف لجودي الآن عن مدى بعده عن زوجته وعدم ثقة احدهما بالآخر.

كانت الرسالة الأولى طويلة اشتكت فيها حنة من المخرج والمنتج وبقية الممثلين. لم تكن على علاقة جيدة بأي واحد منهم. ورغم انها لامت الجميع كان من الواضح ان السبب يكمن في سلوكها الخاطئ. قال لها المنتج بأنها متعجرفة واتهمها بعدم التعاون مع الفريق العامل وهو امر يحدث لأول مرة انه قبل احد افلامه. واكد لها ان في امكانه الاستغناء عنها فصرخت في وجهه وهددته بترك المكان فوراً. واعطتني الرسالة الانطباع بأنها كانت موهومة بصدد التمثيل وانها فقدت اهتمامها ورغبتها حتى بدأ العمل الحقيقي.

سكتت جودي وهي لا تزال شاحبة ترتعش حتى اخمص قدميها:

ـ ماذا عن الرسالة الثانية؟

ـ كتبت تخبر والدتها انها ستترك العمل والتمثيل وانها ستعود الى البيت للزواج من فيداس. هددها المنتج بمقاضاتها الا انها رفضت بأن الأمر لا يهمها، فزوجها المليونير سيدفع المصاريف... والغريب ثقتها بنفسها الى حد كبير. يبدو لي انها واثقة بأن فيداس باق في انتظارها.

ـ لا شك في ذلك. اذ ان حنة لا تعرف شيئاً... ولم تكن واعية باستعجال فيداس في حبه...

وانهارت جودي باكية. لا بد ان هذا التطور سيساعد على تقريب نهاية زوجها، رغم انها لا تعرف هذا بالتأكيد.

ـ قالت حنة في رسالتها انها ستصل الى انكلترا خلال ثلاثة اسابيع وستبقى في البيت فترة قصيرة الى ان يتم الزواج. وانها قررت البقاء في انكلترا مع فيداس ولن تذهب معه الى اليونان.... ووعدت والدتها بشراء ملابس ثمينة لها اضافة الى بيت كبير تنتقل للعيش فيه بعيداً عن الشحاذ الذي لا تعرف حتى الآن لم قبلت الزواج منه.

ارادت جودي التعاطف مع والدها في لحظات ألمه... التعاطف معه ضد كلمات حنة النزقة... الا انها ولانشغالها بمصيبتها بدا لها وكأن مشكلة نيل بسيطة الى جانب ما سيحدث لها. ها هي رغم حبها العميق لزوجها ستكون من يسبب له اشد الألم. عبدها فيداس واحبها ووثق بها الى حد لا يصدق. آمن بانها رائعة في كل مجال، واقتنع بانها لا ترتكب خطأ بحقه. وكلما تحدث عن حبها اشار الى انه معجزة، وكم مرة قال انه لن ينسى اليوم الذي وافقت فيه ان تكون زوجة له! سيكون ألمه وجزعه اشد مما ستحس به بالتأكيد. وبكت فترة طويلة اذ استطاعت اخيراً ادراك حجم غلطتها. نعم سيكون ألمه اعظم لانها ستحطم الصورة المثالية للزوجة المحبة.

ـ ما الذي سأفعله يا والدي؟ بقي لفيداس ثلاثة شهور فقط وهو يحبني كثيراً...

- ادري، ادري... فرسالتك لا تشرح غير ذلك.

صمتت محاولة التفكير. لا بد من وجود طريقة تحمي بها زوجها. واختلطت الافكار في رأسها وراحت تعددها دون الاقتناع بجدوى اي واحدة منها.

- كيف استطعت المجيء الى هنا؟

تساءلت بطريقة غامضة الا كان ذهنها محتشداً بافكارها المشوشة.

- اعني ما الذي قلته لاليس؟

- اخبرتها بأني اعاني من الضعف منذ فترة طويلة لذلك ذهبت لرؤية الطبيب فنصحني بأخذ اجازة... واخبرتها اني ذاهب الى شمال انكلترا لقضاء فترة اسبوع معك. لم تشح اليس ولا بد انها سرت للتخلص مني اسبوعاً كاملاً.

مسحت جودي دموعها بظاهر كفها فاكتأب والدها اكثر لرؤيتها... قال:

- يا طفلتي كم تمنيت لو انك لم تري فيداس...

- كلا يا والدي، لا تقل ذلك... انه اجمل شيء حدث في حياتي.. لن انتهي ابداً عدم لقائي به... ان ذكرياتي معه جميلة ورائعة.

- رائعة، نعم... حتى الآن...

ابتلعت ريقها وبدأت البكاء من جديد.

- يجب ان افكر بحل ما... يجب الا اؤذيه... كلا لن اؤذيه...

- لن تستطيعين اخفاء رسالتها او التخلص منها...

بدا بيل يقول الا انه هز رأسه نفياً.

- كلا... لن يكون هذا ممكناً... اليس كذلك؟

- اخفاء الرسالة؟

وامتلكها الرعب، انها في طريقها لارتكاب خدعة اخرى...

- كلا، لن يكون ممكناً.

- ليس هناك اذن ما تستطيعين عمله. قالت حنة انها ستكتب لفيداس بعد عودتها الى البيت مباشرة.

وواصل حديثه بعد وهلة من الصمت:

- من الظاهر انك مارست لعبتك ووقعت ضحية لها. ومنحت فيداس اكثر مما في امكان حنة ان تمنحه... واذا ما اردت مواصلة الاحتيال حتى النهاية لتحمي فيداس الا تخيفاً خلال اسابيعه الاخيرة الباقية، فانك في رأيي انما تفعلين الشيء الصحيح

- هذا ليس ممكناً!

كررت جودي جوابها هذا بآلية ولكن والدها لاحظ خلو صوتها من لهجة الاستنكار الاولى... فهل الامر ممكن؟ الح بيل متشجعاً اياها:

- اذا ما اهملت رسالتها الاولى فليس من المحتمل ان تكتب رسالة ثانية.

اجابت جودي بكل اقتناع.

- ستكتب... اني متأكدة تماماً.

اذن دعينا نفترض انها ستكتب رسالة ثانية... فاذا ما اهملت الثانية فلا بد انها ستدرك وتتقبل حقيقة ان فيداس لم يعد يهتم بها.

الا ان جودي هزت رأسها... كلا لن تتخلى حنة عن فيداس بهذه السهولة. قد تقرر المجيء لرؤية فيداس في النهاية. وارتعبت جودي من صورة المستقبل. حنة تصل الى البيت فتكتشف وجودها وتفضحها امام زوجها الواثق المحب. وزادت سرعة دقات قلبها خجلاً وخوفاً.

- يا والدي... كيف تجاهلت الى هذا الحد قوة القدر واحتمال افتضاح الامر؟ انه لم يخطر ببالي ولو لحظة احتمال عودة حنة.

اعترف والدها مؤيداً:

- كذلك لم يخطر ببالي.

كانت متحمسة لتمثيل الفيلم وان تصبح نجمة شهيرة الى حد

خدعتنا.. انها لغز تلك الفتاة ولا احد يعرف نواياها الحقيقية. خذي مثلاً موقفها من والدتها... للحظة تتصرف وكأنها تحبها ثم تأتي ايام تهملها فيها ولا يهمها اذا كانت أليس حية ام ميتة.

قطبت جودي جبينها ثم انتبهت الى طريقة جلوسها والحاقها حضور والدها فابتسمت لأول مرة متحيرة:

- آسفة جداً يا والدي، لا بد انني على وشك الجنون. انني لا اعرف ماذا افعل. هل اعترف له بكل شيء؟ هل تعتقد انه سيفهم ويغفر لي لأنه يحبني؟

هز والدها رأسه لا نفياً بل دلالة على الشك.

- كيف استطيع نصحك يا جودي؟ قد يغفر لك.. ولكن هل تظنين ان حياتكما ستبقى كما هي بعد اعترافك؟

دمدمت بعد صمت طويل:

- كلا لن تكون مشابهة للحاضر، انه يعتقد بأنني كاملة في كل شيء... لن يتصورني مخطئة اطلاقاً.

الحل الوحيد يا جودي هو اخفاء اي رسالة تبعث بها حنة.

- ولكنها قد تقرر المجيء بنفسها لرؤية فيداس خاصة وانها قلقت من عملها.

- هل تعتقدين انها ستفعل ذلك حتى بعد ان يهمل رسائلها؟

- فيداس ليس من النوع المهمل للرسائل وحنة تعرف ذلك. لقد عبر لها في السابق عن تقديره الجزيل لانقاذها ابن اخيه من الغرق. واخبرها بأن عرضه الزواج تعبير عن امتنانه.

انهارت جودي وظهر عليها التعب فصمتت ثم واصلت الحديث بعد لحظات:

- انك تعرف كل التفاصيل حيث اخبرتك منذ البداية. كلا، لن تقتنع حنة اذا لم تستلم اي جواب. كل ما يهم حنة هو المال، هذا ما اخبرتني. واذا لم يجب فيداس على رسائلها فانها ستغتاظ. وستجعل همها الأول اكتشاف السبب.

- اظن انك محقة.. ماذا اذا ارسل لها فيداس جواباً تخبرها فيه بأنه غير رأيه؟

وتوقف عن الكلام اذ رفعت جودي رأسها بحدة.

- آسف، كنت افكر بصوت عالٍ.

قال شاعراً بالحرج للحماقة الجديدة. ونظر الى ساعته بينما قالت جودي:

- يجب ان تنزل الآن. لا سيتعجب فيداس لغيابك فترة طويلة

ولاحظت جودي وجهها في المرآة فقالت:

- سيرى انني كنت ابكي. ما الذي اقوله له؟

سأل بيل بتردد:

- هل يعرف عني وعن أليس؟

فاومأت جودي برأسها.

- اخبريه كل شيء... ارجو الا تمانع يا والدي؟

- استخدمي الأمر كحجة.. اخبريه انني حدثتك عن مشاكلي معها فتعاطفت معي وبكيت بسبب حزنك العميق وتأثرك مع احاسيسي.

٦ - رحلة الى الشبان

- اتبعي انت اولاً يا جودي واخبري فيداس اني ارتب ملابسي. افضل عدم وجودي هناك حين توضحين له سبب بكائك... لا بد ان الوضع سيكون مربكاً للجميع.

اومأت برأسها موافقة وفتحت باب الغرفة.

- سأخبره بأنك تغير ملابسك استعداداً للعشاء... اذ انه من واجب سيروس ترتيب متاعك.

- حسناً...

وتوقف لينظر حوله لأول مرة مأخوذاً بفخامة المكان.

- انه مكان رائع جداً يا جودي.

- نعم لكنه لا يساوي شيئاً بدون فيداس يشاركني اياه.

كانت على وشك البكاء من جديد فغادرت الغرفة مسرعة وركضت الى غرفتها لتغسل وجهها قبل ان تذهب لرؤية زوجها في الشرفة. وحدق فيها مدهوشاً وهو يقول:

- قضيت وقتاً طويلاً... عزيزتي، ماذا حدث؟ لم تبكين؟ هل يعاني والدك من مشكلة؟

وكان صوته حنوناً عطوفاً فيئست من فكرة الكذب عليه من جديد. ولكن ماذا امامها غير ذلك؟ انها كذبة بيضاء لا سيما وان والدها كان تعساً فعلاً مع زوجته. كرر فيداس سؤاله اذ لاحظ صمتها الطويل ثم بدأت الكلام. الا ان قصتها كانت قصيرة واندهش فيداس لحزنها وبكائها الا انه عبر لها عن تعاطفه معها ومع والدها. ثم عندما لم تتوقف عن البكاء امسك بها بين ذراعيه فجعلها اكثر تعاسة.. انها المرة الأولى التي تبدو فيها بمثل هذه التعاسة. وحار هو فيما يفعله كي يهدئها واخيراً هدأت فقال لها:

- عزيزتي، ليس هناك الكثير نستطيع عمله، لكننا نستطيع مساعدته على قضاء وقت جميل معنا. سنخطط لبعض الزيارات وستبادل الحديث. كذلك تلك الرحلة السياحية. ليس في امكاننا الذهاب الى عدة جزر الا اننا نستطيع الذهاب على سطح السفينة بايروس الى جزيرة ثم نستقل الطائرة للعودة الى هنا وقضاء الأيام الأخيرة معه.

وقربها من صدره اكثر وقبل جبينها. ثم انتظر حتى استعادت هدوءها.

- انك طيب وعطوف... اني احبك.. صدق ذلك مهما حدث.

- حبيبتي... وابعدها عنه يتفحص ملامحها.

- يا له من شيء غريب تنطقين به. كيف الشك بحبك؟

احست جودي بالخوف ونظرت اليه كما لو كانت غير واعية لما قالت:

- لقد اثبت لي مراراً مقدار حبك لي.

واخيراً استطاعت ان تبتسم له الا انها بقيت غير مرتاحة. وسرت لرأي والدها قادماً ليجتمع بها.

فلاحظ فيداس نظراتها المتبادلة [illegible] حبيبه. وبدأت جودي الحديث بنعومة رغم ادراكها لارتباك الجميع. وربما كانت تتخيل ما حدث.. كلا! ان الشك بدأ يراودها. هل انقضت ايام السعادة؟

لا تزال امامها ايام سعيدة ما دامت حية لا تزال خارج انكلترا. الا ان جودي مقتنعة ان خوفها يمثل حاجزاً قد يفصل بينها وبين زوجها.

وسمعت صوت زوجها قائلاً:

- اذن وافقنا جميعاً اليس كذلك؟ هل تفضلين ذلك يا عزيزتي؟

- افضل ماذا؟

ورمشت بعينيها انه لم تدرك سبب سؤاله.

- لم افهم ما الذي تعنيه يا فيداس.

واحمر وجهها. ومرة اخرى [illegible] التعبير المرتسم على وجه زوجها.

- كنا نناقش عطلة والدك... هل [illegible] يا حبيبتي؟

ثم نظر الى بيل وكأنه على وشك ان يزيد [illegible] النظرات السريعة مع ابنته.

- نعم، بالطبع. كنت افكر بشيء آخر. هذا كل ما في الأمر...

- حسناً. كنا نتحدث عن الرحلة السياحية القصيرة التي تحدثنا عنها من قبل. سنأخذ الطائرة الى اثينا غداً ثم نستقل السفينة بايروس ظهراً. هذا ما ناقشناه... هل ستكونين مستعدة يا عزيزتي؟

- نعم يا فيداس.

ولم يكن اعداد الملابس مشكلة اذ اشترى لها فيداس كل ما خطر

ببالها ولكل مناسبة. كما اهداها بعض المجوهرات الجميلة التي تحتفظ بها طوال حياتها.

كان والدها ترك لندن في الساعات المبكرة من الصباح ووصل مطار كورفو الساعة العاشرة والنصف بعد ان غير الطائرة في اثينا. وبعد لقائهم بقوا في كورفو لشرب القهوة قبل بدء الرحلة عبر الجزيرة الى بيتهم. كان والدها مذهولاً ومسحوراً بالجمال المحيط به رغم سوء الأخبار التي كان يحملها لابنته.

واذ جلسوا جميعاً في الشرفة بانتظار الغداء، ذكر بيل لفيداس جمال الجزيرة وسحرها الخاص. واعترف وهو مسترخ في كرسيه المريح:

- انها المرة الأولى التي اسافر فيها الى الخارج. كما لم احلم لحظة واحدة برؤية مكان جميل كهذا. انها مغامرة رائعة.

ولم يكن لصهره وقع ما عاناه من آلام، بل بدا عليه التصميم مثل جودي على عدم ارتكاب اي خطأ آخر يزيد من شكوك فيداس.

ووافقه فيداس الرأي بصدد الجزيرة وابتسم لزوجته بحب... ابتسامة تعرفها جيداً ولا تزال تثير فيها رعشة الحب الأول:

- سرت جودي لزيارة كاليموز ايضاً.

- حيث قضيتما شهر العسل؟

تساءل بيل ونظر الى ابنته بمودة. وبدا عليها الفرح من جديد فعادت الى ملامحها نضرتها وشبابها. تألقت بشرتها الناعمة الوردية وتبادلت الابتسام مع زوجها، ابتسامة حب ومودة... وعلمت انهما لو كانا لوحدهما لتطور الموقف بينهما الى ما هو اكثر من مجرد تبادل الابتسامات..

- نعم...

همست حالمة... مجيبة تساؤل والدها:

- كان شهراً رائعاً.

ووافقها زوجها الرأي.

- سنذهب الى هناك ثانية، قبل حلول الشتاء.

نظرت نحوه بسرعة. ثم استدارت لتنظر بعيداً لئلا يقرأ ما يجول بخاطرها. هل هي زلة لسان؟ لا بد انها كذلك... الا انه حذر عادة فيما يقول وما يعد به ليستطيعا دائماً التمتع بالحاضر وليس ما يقدمه المستقبل... وبقيت تحلم بالجزيرة...

بعد الغداء، جلسوا في الحديقة مدة ساعة ثم اقترح فيداس التوجه مع بيل للسباحة في البحر. سأله:

- هل تستطيع السباحة؟

- نعم، لكنني لم احضر بذلة السباحة معي.

- سأعيرك واحدة.

ثم انصرف ليجري بعض الاتصالات الهاتفية وليرتب امر سفرهم في اليوم التالي. ثم التفت وكأنه تذكر شيئاً:

- جودي هل تستطيعين طبع رسالة لي؟ انت كاتبها وتوقيعها، كل ما عليك عمله هو طبعها على الآلة الطابعة ثم وضعها في مظروف. وسنرسلها حين نخرج.

توجهت الى مكتبه فوراً بينما استخدم فيداس الهاتف الموجود في الصالة. كانت الرسالة هناك اضافة الى الورقة المذيلة بتوقيعه. جلست جودي. لن يتطلب منها الأمر اكثر من خمس دقائق ولم تستغرب توقيعه الرسالة قبل طباعتها. لقد فعل ذلك من قبل خاصة اذا كانا على وشك الخروج... ليتوفر لها الوقت لارسال الرسالة بسرعة.

وضعت الورقة في الآلة الطابعة ثم خطرت في ذهنها فكرة مجنونة. وامتلكها الرعب وذعرت لجرأتها. مستحيل! ولكن هل الأمر مستحيل فعلاً؟ ان الحالات اليائسة تتطلب حلولاً يائسة...

بذلت جهداً هائلاً لتستعيد هدوءها وتناولت ورقة اخرى ثم طبعت ما كتبه فيداس بخط يده. الا انها كانت طوال الوقت مشغولة بالتفكير في امر الورقة الموضوعة جانباً والتي تحمل توقيع فيداس. هل سيكون التوقيع منقذاً لها؟ هل تستطيع تنفيذ خطتها بعد ان

استسلمت لمصيرها؟ عجبت لهدوئها اذ وقفت بعد لحظات الى جانب فيداس حاملة بيدها الرسالة.

- آسفة يا عزيزي. ارتكبت خطأ اثناء طباعتي الرسالة فخربت الورقة، وطبعتها ثانية.

ثم وضعت الرسالة امامه على المنضدة وناولته القلم فوقعها.

- شكراً فيداس.

وانحنت رأسها فقبل جبينها قائلاً:

- اني احبك...

عادت جودي الى المكتب ووضعت الرسالة في المظروف المعنون، واحتفظت بالصفحة ذات التوقيع في مكان امين وستستعملها في اقرب فرصة ملائمة.

كان بيل مسحوراً بالساحل ومأخوذاً بمرأى الجبل والتلال المحيطة به، اضافة الى اشجار الزيتون وخضرتها الفاتنة. وكرر عدة مرات وهم يتجولون على الساحل بعد ان تركوا السيارة:

- انه مكان لا يوصف بالكلمات.

ضحك فيداس واقتبس ما كتبه الكاتب الانكليزي لورانس دوريل:

«يضطجع في غيبوبة... يمرجره كأنه غير العادي»، كما وصفها كاتب آخر: «ملتفة بغطاء الطبيعة الذهبي، على حافة الغروب في جزيرة بحرها متلألئ».

وسبحوا بتكاسل في المياه الدافئة ثم تمددوا على الساحل وهم يتجاذبون اطراف الحديث بهدوء. قال فيداس مخاطباً بيل بعد ان لاحظ احمرار بشرته:

- عليك ان ترتدي شيئاً آخر الآن، اذ ان التعرض للشمس فترة طويلة وللمرة الاولى يضر اكثر مما ينفع.

وناولت جودي والدها منشفة السباحة الكبيرة فوضعها على كتفيه. كانت عيناه حالمتين. وثبتهما على الأفق البعيد حيث ظل

سفينة بيضاء تمخر عباب البحر. تنهدت جودي متاعبها فأحست بالعطف على والدها لزواجه بعد طول وحدة من امرأة شرسة. ومع ذلك لو لم يتزوج اليس لما استطاعت هي الزواج من فيداس لسبب بسيط هو انها ما كانت ستلتقي به. يا له من قدر غريب! وبقيت تفكر بحياتها الحاضرة والمستقبل... المستقبل القريب... حيث لم يبق امام فيداس اكثر من ثلاثة شهور... ثم الوحدة... وسنوات طويلة كئيبة لتغلقها الذكريات الى ان يحل النسيان. النسيان؟ ابداً! الا ان الذكرى ستضمحل، هذا امر محتوم. ولن يبقى حبيبها فيداس مرتسماً في ذاكرتها بحضوره القوي، ممسكاً بيدها، او مشاركاً اياها الحب. سيكون هناك ولكن بعيداً عن متناولها... ويبتعد اكثر فاكثر بمرور الوقت.

وضعت يدها على عنقها لتريح الميها القاتل... نظر اليها فيداس متعجباً الا انه ابتسم حين رأى وجهها يسترخي. ومدت يدها فالتقطت حفنة من الرمل سمحت لها بالتناثر من بين اصابعها الطويلة. ونظرت بعيداً الى البحر الذي يعكس اشعة الشمس، وراقبت الوانه المتغيرة من الأزرق الفاتح الى الأرجواني ثم اللؤلؤي الشفاف. ولما مرت اللحظات صامتة باستثناء تبادلهم الكلام في اوقات متباعدة، اقسمت جودي الا تدع اي قوة ان تفصل بينها وبين زوجها. وزادها ثقة بنفسها احتفاظها بالورقة الموقعة والمخفية في مكان امين...

كان هناك مطعم قرب الساحل، وبناء على اقتراح فيداس توجهوا نحوه.

- اشعر بانني في حاجة الى شيء اكثر من الشاي والكعك... ماذا عنكما؟

- اشعر انا الأخرى بذلك...

ثم قالت لوالدها:

- تستطيع تناول الفطائر او حتى وجبة في مطعم اذا اردت...

ثم نظرت الى زوجها متسائلة:

- هل يستطيع والدي طلب وجبة طعام كاملة الآن؟

قال فيداس:

- لا ارى سبباً يمنع ذلك.

واستنفار نحو البائع الا ان بول اعترض:

- لا اريد وجبة كاملة يا جودي اذا تناولت طعامي... شكراً يكفيني الشاي والفطائر.

وطلب فيداس الكعك مع الفراولة المغطاة بالقشدة. والتفتت جودي لوالدها، مراقبة اياه يتذوق الفاكهة:

- ستحب الفراولة...

- انت محقة... انها لذيذة جداً.

- انها برية... تنمو هنا ويرسل الكثير منها الى اثينا.

وذكر فيداس فخوراً:

- تهطل على الجزيرة كمية كبيرة من الأمطار، لا كما في باقي الجزر اليونانية، وهذه نعمة تمنحنا الخضرة والفاكهة الوفيرة.

وتوقف لحظة مراقباً سطح البحر المتوهج تحت الشمس الساطعة.

- للأرض رائحة طيبة بعد ان تمطر. خاصة في الغابات.

- استطعنا ان نشم رائحة الزعتر النامي في جبال ايثاكيا ذات مرة، بعد المطر. هل تتذكر يا فيداس؟

ونظرت الى زوجها بتعبير متسائل، فاومأ موافقاً. كيف يستطيع النسيان؟ واجابتها نظرته الرقيقة. ففي تلك المناسبة، كانا يتمشيان بعد العشاء وبعد ان توقف المطر تحت ضوء القمر والنجوم الساطعة بوضوح غريب. كان ذلك سحر ليل الشرق، النجوم والقمر والأفق الغامض بلونه الأرجواني... اثار مشاعرهما ورغبتهما في الحب وبعد ان توقفا عدة مرات ملتصقين بعضهما البعض قال فيداس:

- هل تريدين الاستمرار يا عزيزتي، ام نعود؟

ابتسمت وهمست الجواب المتوقع فأمسك بيدها وعادا الى بيتهما.

قال الآن:
- نعم يا عزيزتي.
كان قد نسي للحظة وجود والدها معها ونظر اليها نظرة ذات معنى:
- اتذكر... بكل وضوح.
تألق وجه جودي وأحنت رأسها خجلاً.
استدار والدها لينظر بعيداً، مفكراً في مستقبل ابنته. واقلقه ما سيحدث لها وما ستعانيه من ألم. أراد مناقشة الأمر معها، وقبل العشاء جاءت جودي الى غرفته لتتحدث اليه عدة دقائق قبل مصاحبة زوجها.
اخبرت والدها بتصميم ووضوح:
- سأجتاز الأزمة يا والدي... انا مستعدة الآن لذلك لن يصدمني شيء.
لقد ادركت منذ البداية ما يعنيه الزواج من فيداس. واظن اني حتى قبل الزواج علمت بأن العبء سيكون ثقيلاً ولن اتحرر منه ابداً.
ولدهشتها لاحظت انهيار دموع والدها. واستدار ليواجهها بعد ان كان ينظر اليها خلال المرآة حيث وقف يمشط شعره:
- لكن يا جودي... يا عزيزتي... لا يكن الأمر يستحق هذا العذاب كله. كلا. تستطيعين الانكار وانا متأكد انك مقتنعة حالياً بصحة ما تفعلين...
وصمتت قليلاً فمسح دموعه:
- حين يحل الوقت يا عزيزتي اخشى انك ستعانين من الانهيار العصبي.
فكرت بكلماته ثم هزت رأسها:
- سأكون قوية يا والدي.
قال بعد ان استجمع رباطة جأشه.

- وماذا عن حنة؟ انها ستثير المتاعب... مع ذلك لا اظن انها تستطيع تحطيم زواجك بفيداس فهو يحبك كثيراً.
- ذلك ما توصلت اليه منذ دقائق واثناء تغيير ملابسي. لن تستطيع التفريق بيننا، الا انها ستخلق هوة تبقى قائمة بيننا الى النهاية. لن ادعها تأتي هنا يا والدي. اعرف طريقة تمنعها من ذلك... إذا استطعت استلام رسائلها الأولى والأخيرة.
نظر اليها بيل حائراً:
- لا افهم ما تعنين يا جودي... انك مقلقة جداً.
- لست مقلقة في داخلي. بل بالعكس انا خائفة، مذعورة... ليس لما سيحدث ولكن لما سيحدث اذا فشلت.
- ماذا تعنين؟
وهز رأسه آلياً كما لو ادرك انها عاجزة عن تنفيذ شيء حاسم.
- لا استطيع اخبارك الآن لأنك ستقلق وتحاول منعي من فشل ومواجهتي عاقبة خطوتي التالية.
- انك ما تريدين حمله تسوية من سوء الحال بينك وبين فيداس؟
- اذا ما اكتشف الأمر نعم.
- هل يستحق الأمر المخاطرة يا جودي؟
اومأت برأسها، شاحبة ولكن مصممة على ما ستفعله. ونظرت اليه بعينين والقلق فتنهد لرآها ولمح تصميمها فادرك انها ستنجح في مسعاها مهما كانت العوائق.
- استطيع ان افعل اي شيء، لحماية زوجي من الألم، ولن انقض ذلك القسم ابداً.
قال لها بلهجة حنونة:
- انك فتاة رائعة يا جودي دعيني اساعدك حين يحل الوقت يا عزيزتي.
ابتسمت وأومأت برأسها واذ احاطها بذراعيه قبلت خده هنيئاً.
- هيا يا والدي، ابتسم! ان سعادة فيداس محصورة بالدقائق.

- هل تعتقدين انه سعيد فعلاً؟
قالت بثقة لنفسها والدها بوضوح: - نعم. انه ليس خائفاً يا والدي، ولقد قبل بالمحتوم ولأنه سوية فانه يشعر بالسعادة.
- هل ألمح لك ولو مرة واحدة عما سيحدث؟
وحين هزت رأسها واصل:
- اشعر بأن موقفه غير عادل الى حد ما.
- لا تلمه يا والدي... الا ترى انه اذا حطرني فستنتهي سعادتنا؟
واقفها والدها:
- نعم، افهم الآن. سيعلم بانك عظيمة القلب... لذلك يمنحك فرصة السعادة حتى النهاية.
- هذا صحيح.
- اتساءل اذا كان مدركاً تماماً لطبيعتك الطيبة المتفهمة.
- انه يدرك تماماً. هذا ما يقوله لي طوال الوقت.
وضحكت سائرة مع والدها الى غرفة الطعام.
استيقظوا صبيحة اليوم التالي مبكرين. وبعد تناول الافطار ذهبوا بالسيارة الى المطار ثم استقلوا الطائرة الى اثينا. ولما كان لديهم متسع من الوقت قبل ابحار السفينة اخذها بيل الى الاكروبوليس، حيث وقف مع آلاف السواح، متمعناً ومتفحصاً احد اجمل الابنية في العالم. ثم استقلا سيارة الاجرة في جولة سياحية سريعة حول المدينة، مدينة تستقبل آلاف السياح يومياً اضافة الى كثافة سكانها. وبدا من المستحيل عدم حدوث اصطدام في كل دقيقة. الا ان سائقي السيارات ماهرون الى حد يؤمن سلامتهم فضلاً عن وجود عدد كبير من شرطة المرور.
- انهم رائعون.
ابدى بيل استحسانه بعد ان غادروا سيارة الاجرة ومشوا نحو ساحة امونيا. واشار شرطي المرور بتوقف السيارات فعبر الواقفون على جانبي الشارع بسرعة دفعت بيل للقول:

- انه امر لا يصدق.
فضحك فيداس:
- ان الوقت الوحيد الذي نستعجل فيه هو حين نعبر الشارع. اما بقية الاعمال فنؤديها ببطء... ربما يعود سبب ذلك الى حرارة الجو وطبيعة مناخنا.
الا ان جودي اعترضت:
- انا متأكدة انك عملت بجد في السابق.
- شكراً حبيبتي. ربما في الماضي، ولكن ليس الآن...
ثم اضاف مداعباً:
- اوه على الاقل ليس منذ زواجي بفتاة لا تطيق مفارقتي عدة دقائق.
- ستلاحظ يا والدي ان زوجي دعي كبير.
الا ان بيل نظر الى ابنته مبتسماً وقال مداعباً اياهما بدوره:
- تخليت عن محاولة فهمكما سوية... اخبراني كيف تحافظان على مرحكما؟
استدعى فيداس سيارة اجرة ليذهبوا الى بيريوس، ميناء اثينا، وصعدوا الى سطح السفينة السياحية البيضاء الجميلة، وهي واحدة من سفن فيداس... حيث حجز لهم مقصورات مع شرفتيها الخاصتين.
همس فيداس وهو يمسك بذراعها ويسير الى جانبها:
- حبيبتي... انك ترتجفين؟
اجابت باختصار:
- لشدة الاثارة.
فضحك فيداس:
- انك فتاة صغيرة. ثم توقف ليحيي اثنين من ضباط السفينة كانا ينتظران عند اعلى السلالم ليرحبا بالمسافرين. اخبرته وهي تبتسم للضابطين:

- اشعر بأني امرأة مهمة جداً . . . وليس فتاة صغيرة.
وأضافت:
- احس وكأني ملكة.
وتم اقتيادهم الى المقصورتين وكانت امتعتهم سبقتهم الى هناك حيث ارسلها فيداس قبلهم، من اثينا مباشرة.
قالت جودي لفيداس بعد عدة دقائق من دخولهم مقصورتي الشركة:
- سأذهب لرؤية والدي والاطمئنان عليه، اذ لا بد انه يشعر بالغربة لوحده.
- اذا كان هناك اي شيء استطيع القيام به او يحتاجه اخبريني وسيتم تنفيذه.
- شكراً ايها العزيز . . . انه للطف عظيم منك ان تأخذ والدي في هذه الرحلة. سيتذكرها طوال حياته.
- كان علي القيام بذلك اذ بدا تعيساً. ولأني رجل سعيد في زواجي افهم تماماً ما يعنيه الزواج الفاشل.
خرجت دون ان تهيء لانسحاب وتمالكت نفسها قبل دخولها غرفة والدها القريبة من غرفتها بعدة امتار.
- هل كل شيء على ما يرام؟
نظرت حولها ولمست فخامة المكان وتمنت لو يستطيع والدها نسيان كل شيء، الا التمتع بالرحلة.
- كل شيء رائع . . . انها سفينة جميلة يا جودي.
- لنذهب للتجول فيها. هل ستغير ملابسك اولاً ام انك جاهز؟ يقول فيداس ان الغداء على وشك التحضير.
- اريد تغيير ملابسي اولاً وارغب بارتداء شيء خفيف . . . لدي شورت هل تظنين انه من الملائم ارتداءه؟
نظرت اليه مستغربة:
- والدي . . . لم تصر على انك عجوز؟ بالتأكيد تستطيع ارتداء ما

ترغب فيه. الجميع يرتدون ملابس بسيطة هنا. فيداس سيرتدي الشورت فيما بعد.
- سأرتديه بعد تناول الغداء اذن.
- نعم، ولكننا قد لا نتناول الغداء بل ننتظر الوجبة الثانية . . . على كل حال، تعال الى حجرتنا بعد ذلك لنناقش الأمر.
وقرروا التجول على سطح السفينة اولاً وتناول الغداء فيما بعد. وظنت جودي ان فيداس يعرف كل صغيرة وكبيرة في سفينته الا انه هز رأسه:
- لم اكن على سطح هذه السفينة من قبل. انها جديدة اشتريتها منذ ستة شهور فقط، ومنذ ذلك الوقت لم تسنح لي فرصة رؤيتها.
لم تقل جودي شيئاً. وافترضت انه سمع خبر مرضه من طبيبه عند شراء السفينة ففقد اهتمامه بالأمر نهائياً نتيجة الصدمة.
كانت الغرف والكابينات كلها مكيفة الهواء. وفي السفينة حوض للسباحة وناد اضافة الى دار للسينما وقاعة للرقص. كان هناك العديد من الصالات، وفي احداها عزفت الاوركسترا خلال تناول الركاب الشاي جالسين تحت ظلال الشجر وارفة زينت حول المكان.
تناولوا الغداء في صالة كبيرة. واختاروا طاولة قرب النافذة. كانوا يتناولون العشاء فيما بعد مع قبطان السفينة. وابتسم لاستغراب زوجته.
- انه لن يأكلك يا عزيزتي . . . سأحاول تقديمه لك.
وسأل بيلي القبطان فيما بعد عندما كانوا جالسين يراقبون الراقصين في قاعة الرقص:
- اين سنرسو اولاً؟
اجابه القبطان جورج جالاس:
- - سيريغوس . . . سنكون هناك غداً. هل زرت اي جزيرة يونانية من قبل؟
هز بيلي رأسه نفياً.

ـ بل في الحقيقة انها زيارتي الأولى خارج انكلترا.

تبادل جورج النظرات مع فيداس وتساءلت جودي عما اذا اعتبر القبطان زواج فيداس من فتاة والدها واضح الفقر . . . غريباً. كما تساءلت في قرارة نفسها عما اذا كان جورج او اي من اصدقاء او اقارب فيداس يعرف سر مرضه. تشك ذلك فهي تعرف ان فيداس رجل كتوم. . . من هم اصدقاؤه؟ حتى الآن لم تلتق باحد سواه. . . ولم يضايقها الأمر اذ سرت لبقائهما وحدهما، ولكنها متأكدة ان لفيداس اصدقاء. بدا لها وحيداً حين التقت به لأول مرة. الا انها علمت ذلك بسبب مرضه. ولا بد انه قبل ذلك قضى وقت فراغه معهم. . . ثم فضل ان يبقى وحيداً بعد معرفته بمرضه. . . او على الأقل هذا ما فكرت جودي بأنها ستفعله لو اصيبت بالمرض ذاته.

قال جورج مؤكداً:

ـ ستعجب بسيريفوس.

وابتسم ابتسامته الساحرة لكل الفتيات على اختلاف اعمارهن.

اخبرها فيداس فيما بعد ان القبطان يجب ان يكون وسيماً. هذا عامل مهم لجذب السياح، فهم غالباً ما يأتون بحثاً عن الجمال والوسامة اضافة الى الاستمتاع باجازاتهم.

ـ ان اليونان يا عزيزتي بلد سياحي يقدر الحب والجمال. واذا اجتمع الاثنان معاً تكون النتيجة الحصول على خدمة سياحية ناجحة.

واذ استغربت جودي لما اخبرها به فيداس ضحك وقال:

ـ ان العالم يختلف عما تتصورينه، وعن قريتك الصغيرة. . . ولكني اود بقاءك بهذا الشكل، كما وجدتك في البداية.

ـ وكما حدث دائماً. . . تأملت جودي لكلماته. . . فهو رغم ادراكه لقصر حياته يصر على بقائها طيبة وصبية كما هي.

ـ ما معنى هذا التعبير الذي على وجهك؟

اعادها صوت فيداس الى الواقع وابتسمت معترفة بابتعادها

ابداً:

ـ اين؟

سألها بعد ان لاحظ انشغال القبطان وبيل بالحديث.

ـ اين كنت بدون زوجك؟ يجب ان تخبريني.

ـ لم اكن بدون زوجي. . . بل كنت افكر بمشاكل اخرى.

وضحك فيداس بصوت عال جلب الانتباه اليه فلم يعد يقتصر على اتمام عادتها الخاصة. وخاطبت جودي القبطان:

ـ اخبرني عن جزيرة سيريفوس رجاء.

فطلب منها مناداته باسمه الأول جورج، ثم واصل:

ـ انها جزيرة صخرية ذات جبلين صخريين ومنحدرات عميقة. الا انها تتميز ايضاً بسهولها الخصبة والسواحل الساحرة حيث في الامكان السباحة والصيد.

ووصف جورج الجزيرة اكثر الا انه نهض فيما بعد واقفاً وطلب من جودي مرافقته للرقص. ونظر الكل مراقبين، كما فعلوا كل مرة رقص فيها القبطان. ورغم ان جودي لم تقض الكثير من وقتها في السهرات الا انها كانت تجيد الرقص. . . علمها والدها منذ كانت طفلة. وقد فازت في سن الرابعة عشرة بميدالية للرقص وكذلك في السنة التالية. ولاحظ جورج اجادتها الرقص واثنى عليها فاحمر وجهها. تظاهر فيداس بالغيرة وعند عودتها الى مكانها نهض وطلب منها الرقص معه.

واذ احتواها بين ذراعيه همس في اذنها:

ـ هل غازلك جورج بكلماته الناعمة؟

ـ اخبرني بأنني اجيد الرقص وكنت رشيقة بحركاتي.

ـ هل قال ذلك؟ لن اسمح له بالرقص معك مرة اخرى.

الا انه كان يمزح فقط. ورقصت جودي مع جورج عدة مرات تلك الليلة. بل كذلك رقص معها فسرت بذلك لأنه هو الآخر كان يستمتع بوقته.

- الشعر يقول انني استعدت شبابي.

- انك شاب يا والدي والى لو تتوقف عن التظاهر بالعجز. انك في اوج شبابك حقاً.

- ربما ما تقولينه صحيح، الا ان الظروف تغير الاشياء، وخاصة الظروف المعيشية التي حولتني الى رجل عجوز.

ترددت لحظة ثم سألت:

- هل هناك امل بحدوث تغير؟

- كلا. اننا لا نناسب بعضنا اطلاقاً.

وهضمها طريقته في الكلام الى التعبير عن رأيها بسهولة وكانت ترددت من قبل في التعبير عنه.

- هل تفكر في الانفصال عنها؟

- نعم يا جودي. وكما قلت انت ذات مرة... لا نزال شابين، ولا تزال امامنا سنوات طويلة نحياها. ومن العبث اضاعة حياتنا بهذه الطريقة في التشاجر والخصام طوال الوقت. ولمحت برأيي لأليس عدة مرات اخيرا.

وتوقف عن الحديث بضع دقائق فتأملت جودي عبارة وضعهم الغريب... ها هي سعيدة بزواجها من رجل سيتزوج بعد عدة اشهر... بينما يعيش والدها بتعاسة مع زوجته وامامهما الحياة بكاملها ليمضياها بما انهما ازمعا الاتفاق. كان الوضع مخيفاً لهم جميعاً ومع ذلك... لو لم يكن فيلدنغ مريضاً لما جاء الى انكلترا للبحث عن فتاة انقذت حياة ابن اخيه. لا بد انه كان سيواصل حياة العزوبية الى ان يلتقي ذات يوم بفتاة يرغب الزواج منها...

وواصل بيل كلامه لانه لاحظ صمت جودي:

- لم تقل أليس الكثير، لذلك ادركت انها ترحب بالانفصال. المشكلة الوحيدة هي المنزل. لن تغادره بارادتها ولن اغادر انا المكان لتستمتع به.

- كيف ستحل المشكلة اذن؟

والغريب انها لم تفكر بأنها ستكون قادرة في المستقبل على توفير مسكن لزوجة ابيها. كما ان والدها لم يشر الى المسألة ايضاً. سيبيع المنزل لو تطلب الأمر. ورغم ان أليس تستطيع البقاء في المنزل حيث الا انه يتوجب عليها دفع الايجار للمالك الجديد. بينما سيحاول هو استخدام المال في مجال آخر.

- لكنك تحب المنزل... ولن تحصل على بيت جميل مثله بنفس السعر، كما ستفتقد هدوء المكان الرائع...

- لم يعد البيت هادئاً... كلا يا جودي لن افكر في البيت.

هزت جودي كتفيها وقطبت جبينها، الا ان الموسيقى توقفت فعادا الى مكانيهما ولم يناقشا الموضوع. ولم تسنح لهما فرصة الحديث بشكل خصوصي فيما بعد. وبدا والدها سعيدا بقية الرحلة خاصة بعد ان قدمه القبطان الى السيدة بروكز المسافرة لوحدها والتي كان زوجها صديقاً للقبطان. ورحبت السيدة بالانضمام الى مجموعتهم وبقيت معهم حتى نهاية الجولة السياحية.

٧ ـ خطوات الى الوراء

بعد ان غادروا ميريغوس ذات الميناء الجميل ببيوتها القديمة وحدائقها الواسعة، توجهوا الى ناكسوس ودخلوا جميعاً لرؤية الميناء الأبيض وزرقة البحر والسماء.

كانت البيوت كلها بيضاء مبنية على جوانب التلال. قال بيل:

ـ يا له من مشهد مؤهل.

وكانوا واقفين على سطح السفينة.

ـ دمدم فيداس ناظراً بغرابة الى والد جودي الواقف قرب السيدة بروكز:

ـ جزيرة اريان... هنا، كما تقول الاسطورة، هجر تيسوس اريان بعد ان قضى الليلة معها.

ـ اوه...

واستدارت جودي واذ فعلت ذلك مست كتف زوجها بخدها. احمر وجهها للمفاجأة ثم استجمعت رباطة جأشها لتواصل ما ارادت قوله:

ـ هل هجرها بعد ان انقذت حياته بالقيادة خارج المتاهة؟

أجابها فيداس مداعباً:

ـ انك لا تعرفين الاساطير اليونانية بالتأكيد.

اعترفت وهزت رأسها: يجب ان اقرأها... الا انك تستطيع التوضيح لي احياناً، وسيكون الامر أسهل بكثير.

ـ كلا.

يا لك من طفلة كسولة! حسناً اذن... تيسوس ترك الجميلة اريان والبحر دون ان يعبأ بدموعها ولا بتمزيقها حجابها غضباً.

ـ يا له من رجل قاس.

ـ يجب الا تأسفي لأريان فقد وجدت عزاءها بعد ذلك في لقاء ديونيسوس الوسيم فتزوجها ومنحها تاج النجوم. وهكذا انتهت القصة نهاية سعيدة.

ونظر مرة اخرى الى بيل وجيليان، اسم السيدة بروكز الاول، ولم يكونا يصغيان للاسطورة.

وبينما كانوا يتجولون في المدينة الساحلية بعد ذلك، لاحظت جودي تعلّق والدها بجيليان فقالت لفيداس:

ـ أمل الا يعقّد والدي حياته اكثر ببدء علاقة جديدة مع السيدة بروكز.

ـ انهما يودّان بعضهما بالتأكيد. أكره ان ارى والدك تعيساً بسبب لقائه امرأة سيودّعها بعد انتهاء الرحلة البحرية.

ـ انها لطيفة، الا تظن ذلك؟

وقارنتها جودي بأليس. كانت جيليان قصيرة نحيفة ذات شعر رمادي اللون. وجهها مدور وصغير، ملامحه دقيقة وذات فم ناعم

متناسق مع بقية ملامحها. كانت في الخامسة والاربعين من عمرها وأرملة منذ ثلاث سنوات. كانت تسكن في نورثهامبتون... وهو مكان يستطيع بيل زيارتها فيه اذا أراد. الا ان جودي علمت بانه لن يفعل ذلك ما دام يواصل العيش مع أليس مهما كانت علاقتهما سيئة.

- انها سيدة جذابة... هل أخبرها والدك بانه متزوج؟

- لا اظن ذلك.

ثم ترددت قليلاً:

- فيداس، قال لي والدي انه يفكر بترك زوجته.

- هل يفكر بالطلاق؟

- لا اعرف ما الذي يفكر به تماماً. لقد تحدث عن الانفصال. الا انه ليس حلاً مرضياً... أليس كذلك؟

قطب فيداس جبينه مهموماً وقال:

- نحن في اليونان لا نحبذ الطلاق يا جودي. لا يزال الزواج لدينا مقدساً وحين نتزوج نعلم جيداً بأنه عقد يدوم طوال الحياة.

أجابها بحدة لم تتوقعها فاقشعر جسدها لعبراته. وخطر في بالها فجأة انها لا تعرف تماماً نوع مرضه ولا اذا كان سيعاني من الألم عند مشاركته الحياة... الا انها لم تجرؤ على نطق افكارها بصوت عال بل اكتفت بالقول:

- نعم أعرف تقاليد اليونان بصدد الزواج. ولكن اذا كان الزوجان يعيشان في تعاسة هل تفضل بقاءهما سوية؟

فكر فيداس فترة طويلة قبل الاجابة:

- انه سؤال صعب جداً يا عزيزتي لا سيما واني سعيد معك.

ووضع ذراعه حولها وجذبها الى صدره. كانت صغيرة بالمقارنة مع حجمه فوضعت يدها لتلامس خصره وأحست بالدفء.

تبدت سعيدة بتلك اللحظة. كانت محظوظة لأنها عرفت معنى السعادة الكاملة مع رجل تحبه، الأمر الذي يقضي الكثير من الناس حياتهم وهم يبحثون عنه.

واتفقوا جميعاً على استئجار سيارة لاستكشاف الجزيرة قبل ان يحين موعد مغادرة السفينة الى جزيرة اخرى. وهكذا وقف فيداس وجودي ينتظران بيل وجيليان ليلحقا بهما.

سأل فيداس اذ ظن ان الاثنين يرغبان بالبقاء لوحدهما:

- هل نستأجر السيارة؟

الا ان بيل وجيليان رغبا بالبقاء معهما لاستكشاف الجزيرة، وهكذا اقتادهم السائق عبر شوارع الجزيرة الضيقة حيث غطت الزهور شرفات المنازل وساحاتها ثم الى الريف الاخضر والتلال المكسوة بأشجار الزيتون والعنب. وتوقفت بهم السيارة في ابولونا واقتادهم السائق عبر ممر ضيق الى غابة كثيفة الأشجار أدت الى مقلع حجارة مهجورة.

اشار سائق السيارة الى كومة كبيرة من الحجارة. لا بد من وجود مقلع مرمر قريب من المكان، فقد وجدوا تمثالاً كبيراً من المرمر لم يتم نحته كان مغطى بالأشنات وبدا عليه القدم والتآكل.

أسفت جودي لا لحجم التمثال وحالته المزرية، مهملاً من قبل المعماريين والمتاحف، بل لوحشته. حملقت دون ان تتحرك وبدت وكأنها تحس بغموض المكان...

الزمن؟... ما هو الزمن؟... من الذي نحت ذلك التمثال؟... وما الذي يمثله هذا الشكل الضخم؟

تنهدت جودي اخيراً واستدارت نحو زوجها:

- انه مثير للحزن... متى وضع التمثال هناك؟

كان فيداس يتفحص نمو الاشنات والفطريات حوله.

- يشير وضع التمثال بذراعيه وتصلب الجسد الى التأثر بالفن المصري. لا بد انه نحت قبل حوالي ستمائة عام.

سأل بيل مستغرباً:

- نحت التمثال هنا لأن التجارة بين اليونانيين والمصريين كانت مزدهرة في حينه، لذلك تأثر فن النحت اليوناني بالمصري.

وسألت جودي سؤالاً بدا لها فيما بعد سخيفاً:

- هل تعرف هوية الشخص؟

إلا أن فيداس أجابها موضحاً:

- غالبية التماثيل أصنام نحتت على مثال أبولو، كما مثل بعضها رياضيي تلك الأزمنة. وتعطينا أبعاد التماثيل دلالة على عصر نحته وحجمه كذلك. إذ اختلفت حجوم التماثيل في الفترات المتأخرة أبعاد وحجم الجسم الانساني.

- وتطور الحركة.

- ذلك صحيح. انه موضوع مثير... متابعة تطور الفن الاغريقي. جاء الايونيون فعلموا الاثينيين استخدام الرخام بدلاً من حجر الكلس. كذلك حفروهم تحت التماثيل بأجزاء يتم تجميعها فيما بعد.

فعلق بيل قائلاً:

- حين ترى، اذن، تمثالاً مركباً من أجزاء مختلفة نعلم بأنها تعود لتاريخ أقدم من عصر نحت هذا التمثال مثلاً.

أومأ فيداس موافقاً ثم اتجه الى حيث السائق الواقف بعيداً عنهم وقد بدا عليه الضجر، ماسكاً بيده سبحته وحاسباً حباتها الواحدة بعد الاخرى مما احدث صوتاً ازعج جودي فتعجبت كيف تحتمل زوجته سلوكه. ابتسمت لما راودها من افكار. اذ لم يفكر الرجل شيئاً عن كونه متزوجاً وربما كان أعزب. ولكنها وهي تسمع الخرز ترتطم ببعضها سرّت لأن زوجها لا يفعل الشيء ذاته.

استكشفوا مناطق اخرى من الجزيرة ثم ذهب بيل وجيليان لشراء بعض التحفيات والسلع التذكارية. بينما بقي فيداس مع جودي وعبرا المجرى المائي نحو بوابة من بقايا معبد مرمري قديم. ثم الى جزيرة صغيرة لا تتعدى مساحتها مساحة تل صغير يقع في البحر.

جلس الاثنان على قطعة كلس كبيرة، لعلها جزء سقط من حائط المعبد.

كان المكان كله ملكاً لها وأحاط بها الهدوء. وكانت الشمس مشرقة والسماء زرقاء صافية.

- يا له من سلام كامل.

وجدت جودي نفسها تهمس الكلمات فضحك زوجها. كم بدا قوياً وممتعاً. وتفحصت جسمه الرياضي الفتي وتذكرت خطوته المغرورة حين يسير وتعبير الصرامة في عينيه الرماديتين. لاحظ نظراتها فأمسك بيدها وادار وجهها نحوه ليقبل خدها. ثم ابتسم لها ابتسامته المعهودة:

- تعالي يا حبيبتي... يجب الا نتأخر عن موعد اقلاع السفينة.

كان النسيم عليلاً حين غادرت السفينة الميناء. ولوّح بعض الصيادين في قواربهم الصغيرة لركاب السفينة ضاحكين وبدت على وجوههم السعادة.

وابتعدت السفينة فبدت البيوت اصغر فأصغر حتى اختفت عن انظار الركاب.

انتهت رحلتهم السياحية بسرعة وكذلك عطلة بيل. واعترف بيل لجودي قبل مغادرته الى المطار، في اليوم الأخير، أنه أحبّ جيليان واتفق معها على الاتصال به عند عودته الى انكلترا.

خاطبت جودي والدها الجالس بجوار زوجها في السيارة وهم في طريقهم الى المطار:

- سيسبب ذلك تعقيداً أكبر لك.

فأومأ فيداس موافقاً.

- افترض هذا، إلا أن الحياة مليئة بالتعقيدات لسبب أو لآخر. وعلى الأقل هناك الآن شيء مفرح في حياتي.

واراد حسم الموضوع اذ لم يرغب مناقشته في حضور فيداس. إلا أن فيداس سأله بتردد:

- هل اخبرت جيليان بأنك متزوج؟

- نعم اذ لم اجد فائدة من اخفاء ذلك فهي ستتوصل لمعرفة الحقيقة

عاجلاً ام آجلاً.

ـ اوافقك، هذا اذا قررت مواصلة لقائها فيما بعد.

ـ نعم اريد مواصلة رؤيتها فيما بعد.

أجابه بصوت هادىء ثابت. فكرت جودي بأليس وخسارتها لفرصة اخيرة في زواج سعيد. بدا من المؤكد انها ستعود الى وحدتها قريباً. وحيدة بسبب خيالها، فهي حتى الآن لم تستطع الاقتناع بأن زوجة والدها امرأة شريرة. كانت مزاجية الى حد يصعب العيش معها فترة طويلة.

كان الوداع حزيناً بعض الشيء. الا انهما تواعدا على الكتابة بانتظام. واستطاعت جودي في وقت مبكر مساعدته على حزم متاعه والتحدث اليه فترة طويلة. تحدثا عن مشكلتها وأبدى دهشته لقدرتها في التظاهر بالسعادة.

وذكّرته بأنه لم يكن امامها خيار آخر لمعرفتها بقرب نهاية زوجها الوشيكة.

واستمرت قائلة:

ـ على اي حال، هذه الشهور غالية الى حد تمنعني فيه من التطلع الى المستقبل. ومع ذلك تحشرج صوتها واوشكت على البكاء. الا انها تمالكت نفسها وعادت الى استسلامها الغريب للحاضر ونسيان المستقبل. وتلاشت مخاوفها، فخطتها حاضرة في حال ارسال حنة لرسالة. اما اذا لم تقع الرسالة بين يديها، فستفقد كل شيء. الا انها كانت مستعدة لتحارب من اجل سعادة فيداس الى حد انها رفضت حتى احتمال الفشل. ستكون حذرة ومتيقظة لئلا تدعه يستلم اي رسالة قد تبعث بها حنة في المستقبل. ربما لن تعاود الكتابة بعد ان تستلم جواب الرسالة الاولى...

ـ مهما كان ما ستفعله يا والدي يجب الا تعطي حنة عنواني في شمال انكلترا. مهما كان اصرارها، اخبرها بأنني لا ارغب باقامة اي علاقات معها او مع أمها. لحسن الحظ لم تسأل أليس عن عنواني

ابداً. وربما ان العلاقة بينكما سيئة حاليا فستبتعد عن لقاء. الا ان حنة ستفعل ذلك.

لم يخطر على بال جودي ان أليس ستسأل عن عنوانها. الا انها مع ذلك حذرت والدها توقعاً لكل الاحتمالات.

قال بيل بعد تردد:

ـ لا اظن ان حنة سترغب بالاتصال بك.

على اي حال، اعتمدي علي في عدم اعطائها عنوانك.

ثم نظر الى جودي:

ـ انها لن تشك ابداً فيما تفكرين به، لا حنة ولا أمها ستصدقان للحظة واحدة انك جريئة. بحيث تفعلين ما فعلت.

وابتسمت جودي لملاحظته. لم يتطلب الامر منها جرأة كبيرة. اذ كان الزواج من فيداس عملية سهلة، كما لو انها أدت دوراً أعدّ لها مسبقاً فأثار دهشتها لبساطته.

ـ ها نحن في البيت اخيراً يا جودي... كنت تحلمين طوال الطريق من المطار.

استدارت نحوه:

ـ كان يجب عليك الحديث معي.

ـ الامر الغريب هو انني لم ارغب بالحديث. احزنني ان ارى والدك وحيداً وضائعاً بعد زواجنا.

اضافت بامتنان:

ـ نعم هذا ما فكرت به ايضاً. الا انه قنع بحظه.

ويعود الفضل لك في جعلها عطلة لا تنسى. كان قلقاً بصدد دفع كلفة الرحلة الا انني طمأنته بانه يجب الا يفعل ذلك لانها سفرتك. على اي حال، لم يكن لديه المال ليدفعه.

ـ اردت دفع ثمن تذكرة الطائرة، الا انني خشيت جرح مشاعره وكبريائه... ولكن ربما اذا اعطيتك اياه تستطيعين انت ايصاله اليه؟

ـ الذي ما يكفيني يا عزيزي. واخبرت والدي انني سأدفع الثمن

فلا تقلق.

- يا لك من فتاة طيبة. . . اشعر بالهدوء يعاودني الآن.

بعد رحيل والدها، بدأت جودي النزول الى الطابق الأول قبل فيداس بعدة دقائق. ورغم انها اعتادا النزول من قبل سوية. الا انها بدأت الخطوة الجديدة لتفحص البريد القادم قبل استلامه من قبل فيداس. ورغم انه لم يبد استغرابه لتغيير عادتها الا انها تألمت. فقد كان النزول سوية جزءاً من شعورهما بالسعادة. ولأنهما لم يفترقا ابداً الا عندما يضطر للعمل احياناً.

حين وصلت رسالة حنة اخيراً بقيت جودي محدقة فيها، مذهولة وعاجزة عن التقاطها. . . فهي رغم ثقتها بوصول الرسالة يوماً، بقيت تأمل في عدم حدوث ذلك. امسكت بها ببطء وحذر ونظرت الى خط يد حنة كأنه بحدّ ذاته تهديد بالخطر.

ورغم ذلك كانت جودي هادئة حين سلمت فيداس بريده بعد لحظات قصيرة، عند قدومه الى الطابق الارضي.

وكانت هادئة تماماً حين ذهبت الى مكتبه بعد توجهه للاستحمام. وجلست لتطبع على الآلة الكاتبة رسالة الى حنة موقعة من قبل فيداس. لن تجرؤ اي فتاة بعد قراءة ما كتبته على الكتابة لفيداس ثانية. طبعت العنوان على الظروف ودسّت الرسالة فيه.

لم يكن ارسال الرسالة صعباً. فقد اعتادت جودي بعث رسائل والدها بطريقة سريعة دون ان يلاحظ زوجها خط يدها. وحين قاد السيارة ذلك اليوم للتوجه الى العمل طلبت منه التوقف قرب صندوق البريد لترسل رسالتها الى حنة. فظن فيداس انها رسالة الى والدها.

ورغم اقتناعها بأن حنة لن تكتب مرة اخرى الا انها واصلت حذرها وترقّبها ثلاثة اسابيع اخرى. وفي نهاية المدّة أحست جودي بالأمان. لقد نجحت خطتها. كان فيداس سالماً من الأذى وكذلك هي. كيف أحست حنة؟ تساءلت اولاً ثم تخلصت من صورة حنة

وطردتها من افكارها. لم تحس بأي ندم او ذنب لاخذها الرسالة والاجابة عليها برسالة تحمل توقيع فيداس.

انه زوجها وقد أقسمت ان تحميه من الألم. وجاء انتصارها تحقيقاً لما رغبت فيه بقوة.

مر عليهما اسبوعان آخران بهدوء. قضيا ايامهما يسبحان ويتمشيان في الحدائق ثم يتناولان وجبات طعامهما في مطاعم مختلفة. كانت جودي تنظر احياناً الى زوجها لتتفحص وجهه مذعورة، مخافة ان تلحظ تغيراً يدلّ على مرضه. وغالباً ما وجدت نفسها. . . اذا ما بدأ للعائلة. . لن أتحمل رؤيته متألماً ابداً.

هل سيخبرها قبل النهاية؟ سألت نفسها مرات ومرات وتأكد لديها حينئذ أنه لن يخبرها. اما الآن فلم تستطع ان تتصور كيف يستطيع البقاء صامتاً. . . اذا ما بدا عليه المرض واضطر للجوء الى السرير.

قال ذات يوم، حين لم تستطع التخلص من افكارها السوداء، وغطى وجهها الشحوب:

- ماذا حدث؟ انك تبدين مريضة.

شجعها اهتمامه على تجميع بقايا عزيمتها والتظاهر بالسعادة:

- لا شيء، لا شيء يا عزيزي.

- كنت مستغرقة في تفكير عميق. . هل هو والدك؟

اومأت موافقة للعذر، الا انها لم تكن تكذب. واستطاعت الحفاظ على مظهرها السعيد ونسي زوجها متابعة الموضوع ففرحت لذلك.

أخبرها فيداس في اليوم التالي ان عليه العمل مدة ثلاث ساعات. وحين عرضت عليه المساعدة أخبرها بأنه يرغب البقاء لوحده.

- آسف يا عزيزتي. الا انك تقدّرين وضعي. لا يوجد شيء تساعدينني فيه وسأركز بشكل أفضل بدون وجود زوجتي الحبيبة.

- افهم يا عزيزي. . . غير ان ثلاث ساعات وقت طويل.

- سأنجز العمل اليوم وغداً وسنقضي بقية الاسبوع وحدنا.

جلست في الحديقة محاولة القراءة الا انها فشلت فرمت الكتاب

جانباً. وفي اللحظة ذاتها ظهرت ليدا وهي تتصرف بشكل غريب وتوجهت نحو جودي:

- يا سيدة فيداس، هناك سيدة قدمت بواسطة سيارة الأجرة تطلب رؤية السيد فيداس. لكن الغريب انها اعطتني اسمها وهو جودي لانكهام، وانا اعرف انه اسمك قبل الزواج... لأني رأيته في رسائلك عدة مرات... كما اشعر ان هذه السيدة سيئة... نعم ارى ذلك في عينيها... ولكن ماذا جرى يا سيدة فيداس؟ هل أنت مريضة؟

لم تعلم جودي كيف استطاعت الوقوف على قدميها. عرفت أنها كانت شاحبة وأن قلبها يدق بشكل لم تعهده من قبل:

- اين تلك السيدة؟

- لم أدعها تدخل غرفة الجلوس بل قدتها الى الصالة، بعيداً عن مكتب السيد فيداس. وقلت لنفسي يجب ان أخبرك اولاً... لأني أحسست بأن مقدم السيدة ينذر بالشر. لذلك قلت لنفسي بوجوب إخبارك اولاً.

- شكراً ليدا...

أمامها عدة دقائق لتستجمع شجاعتها ولكن ما الفائدة؟ سارت جودي الى البيت ووقفت لحظات امام باب الصالون. كيف سترحب بالفتاة التي سرقت منها زوجها؟ فتحت الباب اخيراً متوقعة سماع صيحة الدهشة والاستغراب تطلقها حنة... الا ان ذلك لم يحدث بل اكتفت حنة بالتقطيب والنظر الى جودي بحدّة وبحث عما يدل على اطلاعها على الحقيقة:

- حنة... انا...

- اين فيداس؟

رطبت جودي شفتيها وهي تتعجب لماذا لم يحذّرها والدها. اذ يكفيه ذكر عدة كلمات في احدى رسائله لتفهم، كأن يقول مثلاً سمعت ان الآنسة فلانة قادمة الى اليونان. وهكذا يحذرها دون ان

يفهم فيداس مغزى الاشارة. ولكن ربما لم يعلم بنوايا حنة.

- لا يبدو عليك الاستغراب لرؤيتي هنا؟

بدأت جودي الكلام محاولة بذلك كسب الوقت لتستجمع قواها وتصحو من تأثير الصدمة.

أجابت حنة بحقد وضراوة:

- استغرب؟ كلا، لست مستغربة. لكنني لا اريد رؤيتك، بل لقاء فيداس... أين زوجك؟

وبدا وكأنها بصقت الكلمة الاخيرة فتراجعت جودي خطوة الى الوراء بشكل لا ارادي.

- انه مشغول الآن ولا يمكن إزعاجه...

ثم انهارت جودي:

- حنة يجب ان احدثك عنه... الا كما ترين، اننا نحب بعضنا...

- حب؟

واطلقت حنة ضحكة صاخبة فنظرت جودي الى باب الغرفة مذعورة...

- حب؟ أحب تعبيرك هذا.

وظهرت علامات الحقد الأسود واضحة على وجه حنة.

- هل اعتقدت انك تستطيعين التملص بفعلتك بعد احتيالك؟ كنت تعلمين انني اريد الزواج من فيداس بعد عودتي. الا انك خطفته لتسلبيه كل ما لديه طالما انا غائبة ثم تهربين بعد عودتي الى انكلترا... اليس كذلك؟

ابتلعت جودي ريقها وسألت:

- كيف اكتشفت زواجي بفيداس؟

- علي شكر والدك لكشفه الأمر...

- والدي؟

- نعم. انه ليس ذكياً، كما هي الحال معك.

وانطلقت ضحكة عميقة اخرى:
- نعم يا جودي كشف وانتك كل شيء. طلبت منه ان يعترف لي
حبها فأعطاني العملة ومعها عملة يونانية.
وجلست في الامام مقتربة من جودي فحاولت الأخيرة التحرك
للابتعاد عنها الا انها فشلت اذ خذلتها ساقاها.
- بالطبع قال وانتك ان العملة اعطيت له عن طريق الخطأ...
الا اني لم أصدق ذلك خاصة بعد ان تلقى اجازته وبدأها عشرة أيام
دون ارسال حتى بطاقة بريدية او اتصال يخبرها فيها عن وصوله ونيته
زيارة انت في شمال انكلترا.
قالت حنة ذلك بلهجة غريبة ونظرات حاقدة. وتقدمت خطوة
اخرى نحو جودي الجالسة في مكانها. ووجدت جودي في نفسها
القوة لتحمد الله لان فيداس لم يتزوج امرأة كهذه.
- كما لاحظت استمرار بشرة وانتك. وهذا امر لن يحدث في منتصف
البارد، خاصة خلال فترة قصيرة. اضافة الى ان والدتي كانت
تشكو من بشرة وانتك لأمراضها بحثا عن شيء ما اثناء غيابها من
المنزل. وقالت ان الدرج الذي يحوي رسائل تغير مكانه. كل ذلك
بالاضافة الى الرسالة الغريبة التي استلمتها من فيداس. لحسن الحظ
حافظت عليها وحملتها معي. رسالة مطبوعة! هل يطبع فيداس
رسالة للفتاة التي عبر لها عن اشتياقه مرارا؟ وبعد ان فكرت جيدا
أيقنت ان طبع الرسالة مخالف لطبيعة فيداس بعد ان كانت رسالته
الاولى مكتوبة بخط يده... ثم هناك تغير في الأسلوب.
توقفت عن الكلام وهي غاضبة ثم قالت:
- نعم قد تركتني الآن. لكن ارتياحك لن يطول لما سيحدث لك
بعد ان اخبر فيداس عن احتيالك عليه انت ووانتك... بالمناسبة ما
هي حصة وانتك؟ حصة ام نسبة مئوية؟
ارتبكت جودي ذعرا الا انها ظلت صامتة فواصلت حنة:
- انا بصدد الرسالة وكلماتها... لكنك تتذكرينها... اليس

كذلك؟ لأنك كتبتها بنفسك؟
وواصلت جودي صمتها الا انها تذكرت في لحظة خاطفة محتوى
الرسالة. أرادت ان تكون موجزة في الرسالة الا ان حنة اكتشفت
خطأها.
- اريد ان احدثك عن فيداس.
- نطقت جودي اخيرا الا ان حنة قاطعتها فورا وبدأت الحديث
عن محتوى الرسالة.
- تزوج فيداس ويجب قطع مراسلاتي معه لاستحالتها ولعدم
ضرورتها. متزوج؟
يا للغرابة! متزوج بهذه السرعة؟ بمن؟ وبدأت التساؤل لا سيما
بعد ان رفض وانتك اعطائي عنوانك في شمال انكلترا. ثم تكرار
الشكر في الرسالة لما فعلته ولكن بدون اسهاب من رجل اعتاد
الاسهاب في امتنانه... وفي لحظة خاطفة اكتشفت ما حدث... لا
بد ان فيداس جاء الى انكلترا اثناء غيابي وتم زواجك منه ثم سافر
وانتك لتحضيرة لذا لم تجرؤ على مخاطرتك في رسالة قد يقرأها فيداس.
ثم جعلت ظني الاول اكتشاف مكان زواجك... علمت انك في
ترومس في بريدوورث لذلك استطعت لا بد انك زورت التوقيع
على الرسالة كما زورت التوقيع عند الزواج.
هزت جودي رأسها نافية ولم تنف التهمة. اذ لا يقارن تزوير
التوقيع بباقي القضية الكبرى. لوصلت حنة الى الحقيقة بدقة بالغة،
ولكن تلك الارتكاب يلي خطأ بسيطا. ان حنة ذكية جدا واكثر ذكاء
من جودي ووالدها معا.
- أين هو؟ القرار له يصل ولا تستطيعين مقاطعته... ولكن لا
تستطيعين بنفسك سأسير الى الداخل لأطرق الأبواب كافة وسوف
تعترفين حينئذ بلا شك.
نهضت اخيرا في الابتعاد عن حنة. ثم وقفت في طريقها لتمنعها
من الخروج وخاطبتها بصوت خافت:

- لا تسخري يا حنة. انتظري الى ان اوضح لك كل شيء. هل تعلمين لم اراد فيداس الزواج منك؟ هل تذكرين اننا كنا نحس بوجود شيء خفي؟

- نعم.

وبدا على حنة الانتباه.

- لماذا اراد الزواج مني؟

- لانه على وشك الموت ولم يبق امامه غير ستة اشهر. واراد ان يترك لك ثروته.

- ستة أشهر؟ وكيف اكتشفت ذلك؟ هل أخبرك بنفسه؟

وبدت مصدومة للخبر. لا بد انها تحاول ان تتصور مشهد فيداس مريضاً، متخيلة مظهره الخارجي.

- كلا لم يقل فيداس شيئاً . . .

وحدثتها جودي بكل التفاصيل، تفاصيل حبها لفيداس والاسابيع القليلة المتبقية له.

- حين قدم والدي حاملاً نبأ عودتك الى انكلترا ورغبتك في الزواج من فيداس أقسمت ان أحمي زوجي من الألم وحين فكرت بالكتابة اليك نفذت الفكرة بدون تردد.

لم تقل حنة شيئاً لأنها كانت تفكر بالثروة التي خسرتها. ثروة كانت في امكانها الحصول عليها بعد وفاة فيداس.

- اعرف ان الثروة لك لانك الفتاة التي اراد فيداس الزواج منها . . . لذلك ستكون الثروة كلها لك.

وصمتت عندما لاحظت عدم تأثر حنة بكلماتها ووعدها. وبدت هذه على وشك الاصابة بالهستيريا لشدة غضبها وغيظها:

- ستة شهور! ستة شهور بقيت له؟ لو علمت ذلك قبل سفري! ستة شهور ثم أحصل على ثروته. لم لم تخبرني جودي بذلك؟ لماذا؟ لماذا؟ واخذت تخاطب نفسها فراقبتها جودي مذعورة تنتظر انحسار العاصفة.

- لم أخبرك جون بدلاً مني؟ أنا التي لم استطع فعله! ان يطلعك على خبر كهذا! اني اكرهه واكرهك.

- حنة . . . لا يهمني من ناحية المال فانا لا اريده. ألم اقل لك انه سيكون لك؟

- انت لا تريدين المال؟ تحاولين القول بانك ستدعينني احوز عليه؟

- نعم وأعدك بذلك . . .

ضاقت عينا حنة وعبّر فمها عن ازدرائها:

- هل تتوقعين مني تصديقك؟ تصديق حبك له الى حد التخلي عن ثروته مقابل صمتي؟ هل تعتبرينني حمقاء؟

كان وجهها محمراً وواصلت التحديق بشفتيها في غضب.

- أضعت الثروة . . . وكل ذلك للأحمق غيلا . . . ستة شهور . . . كل ما كان عليّ فعله هو الزواج منه مدة ستة شهور.

وشحبت جودي الى حد تحول فيه لونها الى اليأس لشدة غضبها. ثم قالت بحدة:

- حنة . . . كيف تجرؤين على الحديث هكذا عن زوجي؟ أليس لديك اي احساس او مشاعر؟ انه شاب قوي ولا يبدو عليه المرض. يعلم بانه مشرف على الموت، ومع ذلك تتحدثين عن المال. تستطيعين الاستحواذ على الثروة، وها انا احاول اقناعك من جديد بصدق نيتي. اني أحب زوجي وحين يتركني وحيدة لن يكون هناك ما يستطيع التعويض عن حبه. ولن استفيد من المال على اي حال . . . انه ملك لك. ولكن ما اطلبه منك هو المغادرة وتركنا وحدنا.

واذ انتبهت الى ارتفاع صوتها نظرت بحذر الى باب الغرفة مرة اخرى.

- اتركينا وحدنا. أتوسل اليك. غادري هذا المكان.

ومرت لحظات صمت قبل ان تقول حنة:

ـ لو استطيع تصديقك لغادرت المكان. الا انني لا اصدق حرفاً مما تقولين. ليس هناك احمق يرغب بالتخلص من كل هذه الثروة. انك تزوجته من اجل ماله . . . نعم . . . نعم. لذلك لست بحاجة لانكار الامر. وقد ساعدك والدك على اتمام الحيلة.

وصمتت ثم اقترحت:

ـ اطلبي من فيداس الحضور الى هنا. انني افضّل الحصول على وعده بدلاً منك، وقد يغير وصيّته لصالحي. انني انا من كان يرغب بالزواج منها. واذا اطلع على احتيالك لا بد انه سيلغي حصتك في الوصية.

كانت جودي ان تغيا اشمئزازاً لطريقة حنة في الحديث. ولافتقادها اي احساس بآلام الاخرين. وتوسلت اليها:

ـ حنة، ثقي بي ارجوك. اخبرتك الحقيقة حين قلت بأننا نحب بعضنا. ان فيداس سعيد جداً منذ زواجنا. ولم يعد امامه وقت طويل . . .

واخذت تبكي فغطت وجهها بيديها.

ـ لن تستفيدي شيئاً من كشف ما جرى. خاصة بعد ان وعدتك باعطائك كل شيء.

ـ انني لا اثق بك. ولن اتخلى عن الثروة كما لا استطيع ان اصدق انك ستفعلين ذلك. سأرى فيداس واطلعه على الحقيقة. وسارت نحو الباب الا ان جودي امسكت بذراعها.

ـ كلا، لن أدعك تؤذين زوجي.

دفعتها حنة جانباً وفتحت الباب بقوة.

ـ اتوسل اليك يا حنة، سأكتب ما تريدين. سأعترف بكل شيء. سأفعل كل شيء تريدينه، غادري المكان فقط.

كان وجهها مبللاً بالدموع وجسمها يرتجف:

ـ ما الذي استطيع قوله لأجعلك تفهمين؟

ومدت ذراعيها الا ان حنة لم يبد عليها انها تتأثر بشيء.

ـ لن تؤثر على حيلك يا جودي. كل ما تريدينه هو ان ابتعد وابقى صامتة حتى يموت فيداس ثم تحصلين على الثروة.

توقفت عن الحديث فجأة اذ لاحظت عمي، فيداس وهو يرتدي قميصاً ابيض وسروالاً ازرق اللون ويبدو متمتعاً بأفضل صحة. تأتأت وهي غير قادرة على تصديق ما رأته عيناها:

ـ هل انت فيداس؟ وبدا من الواضح انها لم تتوقع رؤية رجل وسيم بهذا الشكل.

قالت جودي شاحبة شحوب الورق:

ـ فيداس . . .

الا انها كانت هادئة بشكل غريب.

ـ هذه ابنة زوجة والدي، الفتاة التي انقذت حياة ابن اخيك من الغرق، الفتاة التي اردت الزواج منها.

وبدون ان تنتظر لترى تأثير كلماتها على زوجها، غادرت الصالة متوجهة الى غرفة النوم.

٨ ـ مسافة بينها

سكن نسيم الغروب وانسدلت ظلال المساء البنفسجية مثل ستارة مسدلة على الحديقة. وكانت الفيلا مضيئة وسط ظلال الأشجار.

كان فيداس يتمشّى مع جودي كعادتهما قبل تناول العشاء وقبل ان يصلا الى الحديقة تنهد بشكل واضح.

فقالت جودي بصوت مرتعش بدا مختلفاً عن صوتها:

ـ أحبك واثق لو تستطيع تصديقي.

ادار رأسه نحوها لينظر اليها، وبدا معاق وفتياً كعادته فأحست جودي ان الأطباء أخبروه بأنه سيعيش فترة اطول. وقال بتأدب:

ـ لن تستطيعي اقناعي ابداً. اعرف لم تزوجتني وانت تعرفين

السبب ايضاً. دعينا نواصل حياتنا معترفين بالحقيقة دون الحاجة للتظاهر من كلا الطرفين. باعترافك أنت، كان ما فكرت به منذ البداية هو المال.

ـ نعم، في البداية. اخبرتك بصراحة حين سألتني.

وتماسكت لئلا تنهمر دموعها وهي تستعيد في ذهنها ما حدث بينهما في غرفة النوم، اذ دخل فيداس مطالباً بالتوضيح الكامل ودون ان يبدو عليه الغضب... كم كان سيكون الوضع أسهل لو انه انفعل وصرخ. الا انه كتم كل ذلك عنها فكلّفه الأمر جهداً مضاعفاً. سأل جودي عما اذا كانت لثروته علاقة بزواجها. وحين لم تعد قادرة على الكذب أجابته بأنها كانت سبباً مهماً في البداية. ولم يعد يسمع شيئاً. بدا عليه الغياب الكامل. لم يسمع احتجاجها بأنها وخلال ساعات من لقائها به لم تعد تهتم بالمال بل بشخصه هو وبما أحسته نحوه من انجذاب وصرخت:

ـ أحبك يا فيداس!

وحاولت الامساك بيده الا انه ابتعد عنها.

ـ أحبك! وكما قلت كان الأمر معجزة... حبنا معجزة. قلت ذلك وهذه هي الحقيقة.

ـ انك لطيفة معي يا جودي لأن هذه طبيعتك. ولكن كوني صريحة واعترفي بأنك لا تحبينني.

وقفت الى جانبه بعد ان فتحت بوابة الحديقة.

قالت بلهجة متعبة ومستسلمة بعد ان قضت اليومين الأخيرين محاولة اقناعه بدون جدوى:

ـ اذا لم تكن واثقاً من حبي... اذن لم يعد هناك ما استطيع عمله.

قال عدئذ تعب:

ـ آه لو استطيع الاقتناع! ونظر الى وجهها مرة اخرى وكأنه ينشد الحقيقة.

- كيف يستطيع المرء التأكد من المرأة يا جودي؟ خاصة اذا كانت معطوفة مثلك وتبرر ذلك بالحب؟ -

كان صوته مريراً فعلمت انه يفكر بانها لم تمنحه منذ البداية غير الشفقة.

فتحت فمها لتعترض الا انها أغلقته ثانية. ما فائدة ذلك؟ بعد كل ما قالته له واعترافها له بكل التفاصيل لم يبق امامها ما تفعله غير ان تأمل بعلاقتهما كما هي الآن، بلا مودة... الى ان يقتنع بخطأ موقفه يوماً.

كانت مجبرة على الاعتراف بالعديد من الاشياء في آن واحد. اعترفت باعتمالها بالسبب للاتي اولاً، ثم تزويرها الرسالة وكذبها عليه حين اخبرته بإتلاف الورقة المزعجة. وسألها عن زيارة والدها وسبب بكائها... الكذب والتكذيب... واعترفت بها جميعاً بعد زيارة حنة. لم يكن طرد حنة جزاء لها بل فضلت لو انها لم تأت اساساً. وكان فيداس قد أخبر حنة بأنه لا يرغب بسماع ما فعلته زوجته. كما انه لم يعلم بأمر زيارتها ولم يوافق عليها حينئذ. وبكت جودي كثيراً حين أخبرها فيما بعد بما قالته حنة.

ساد الصمت بينهما اثناء تناول العشاء. ثم توجه فيداس الى مكتبه بعد ذلك. وبقيت جودي جالسة في الصالة وهي تلعن حنة لمجيئها في ذلك الوقت وليس بعد شهر.

وحين نامت بجوار زوجها في تلك الليلة، لم تستطع النوم. وتساءلت ما اذا كان في مقدورها النوم كالسابق من الآن فصاعداً. اذ لم تستطع التوقف عن التفكير بعذابها وعزلتها لحظة واحدة. كما ان شبح المستقبل الغريب وما سيحدث لها كانا يقضان مضجعها.

تحرك فيداس وضمها اليه... الا انها لم تكن قريبة منه كالسابق. كانت تفصل بينهما ستارة كبيرة من الشك. وبدأت البكاء حتى بللت مخدتها وبقيت صاحية حتى الصباح.

قررا صباح اليوم التالي ان يتسلقا قمة جبل باتو كراتوو. باشرا

رحلتهما في وقت مبكر حيث قاد فيداس السيارة شرقاً الى سيموليلا، ثم تركا السيارة هناك وانطلقا سيراً على الاقدام. وكان من عادة فيداس في مثل تلك المناسبة الامساك بيدها طوال الطريق. اما اليوم فلم يحاول ذلك واكتفى بالسير الى جانبها صامتاً. كيف تستطيع اقناع رجل يقترب بخطوات سريعة من بابه بأنها تحبه وأحبته منذ البداية دون احساس بالشفقة؟ رغم ان الشفقة امر متوقع في حالة تلك. ونظرت الى وجهه فوجدت لوجومه وصرامة ملامحه.

واصلا السير صامتين، ليس صمت المحبين المتفاهمين فلا حاجة للنطق بالكلمات، ولكنه صمت الاكتئاب من جهة فيداس والغيظ من جهة جودي لعدم قدرتها على استعادة المودة والالفة بينهما. وكان الصمت مؤلماً بالنسبة لكليهما. الا انها لاحظت ان سلوكه اللطيف المهذب لم يتغير بل ظل يساعدها كلما ارتأى حاجتها للمساعدة. هتفت جودي:

- يا لها من كمية كبيرة من اشجار الزيتون!

ووقفت لترتاح لحظة ولتنظر الى الافق الاخضر الداكن.

- انا نفخر بامتلاك افضل اشجار الزيتون في اليونان. وعددها كثير لان الفينيقيين خلال احتلالهم الجزيرة كانوا يدفعون مكافأة لكل من يزرع شجرة زيتون.

- هناك شيء غريب بخصوص الشجرة... انها تبدو كأنها شجرة مقدسة.

- نعم وتعيش شجرة الزيتون فترة طويلة. انظري الى تلك الجهة... وقد رفع يده ليشير الى الجهة المعاكسة، لمست خدها فاستدار لينظر الى وجهها والتقت عيناه بعينيها. لا بد انه يعرف مشاعرها... وهز رأسه ثم ضمها بين ذراعيه بقوة وحب وبقيا هكذا فترة طويلة في العزلة الجبلية الساحرة. مر بلبل قربهما وسمعا صوت اجراس قطيع من الغنم من مكان بعيد.

همس بصوت متضرع دل على حبه:

- يا عزيزتي . . .

لم جاءت الى هنا؟ لم لم تتركني جاهلاً بالحقيقة؟ وأبعدها عنه ليتفحص وجهها فلاحظ علائم الفرح تسوده بعد قلق طويل. فادرك انها مستعدة لتمنحه كل شيء لأنها تحبه.

- كنت تعذباً لها لأنها اثقلت حياة ابن اخي . . . اما الآن فاني اكرهها

قالها بصوت خافت فتذكرت جودي انه حينه فقدت حتى الاحساس بالامتنان بعد ان ظنت ان في مقدورها الفصل بين جودي وزوجها واحلال الكراهية بينهما. كل ما نجحت في عمله هو مسح صفة الكمال عن سعادتها.

- فلنبدأ التسلق، فلا بد يتطلب الوصول الى القمة مدة ساعتين.

هل انت مستعدة؟

ابتسمت وأومأت برأسها علامة الايجاب.

وتطاولت يدها لتمسك بيده فأدركت نبضها من أحسن بنبضات أصابعه. ثم سحبت يده.

كلا لم يغير رأيه بعد ولا زال يعتقد انها تشفق عليه. ادارت رأسها لتخفي دموعها واخذا يسيران صامتين مرة اخرى حتى وصلا الى القمة فهتفت باعجاب:

- آه يا له من منظر رائع!

اومأ برأسه مبتسماً لحماستها وابتسامتها الناعمة.

- نعم انه رائع . . . اليس كذلك؟

واستطاعا رؤية الجزيرة بكاملها وكذلك الساحل الالباني البعيد.

وسألت جودي مشيرة نحو الشرق:

- ما هنا؟

- أبيروس. انها منطقة جبلية مشهورة. وهناك العديد من القرى الصغيرة. أظن انك ستحبينها.

ولم يذكر شيئاً عن الذهاب. لا بد انه لم يبق وقت طويل امامه على اي حال . . .

وقالت اذ باشرا النزول:

- كان علينا ان نجلب بعض الطعام معنا ونتناوله هناك.

- هل انت جائعة جداً؟

هزت رأسها نفياً.

- كلا. لكن كل ما فكرت به هو لو انا حملنا معنا شيئاً نأكله لبقينا فترة أطول.

- هل تحبين العزلة؟

- نعم.

وأضافت في داخلها: حين تكون معي.

- وانا كذلك.

ونظر حوله ثم الى السماء فرأى الغيوم تتجمع على قمم ابيروس . . . كان مشهد البحر مذهلاً، وكان المنظر الشامل للبحر والسماء والجبال ساحراً خلاباً. وراقبت جودي زوجها ينظر حوله وكأنه يحاول الامساك بكل التفاصيل ليختزنها في ذاكرته. لم يبق امامه غير القليل من الوقت . . . ترى الذي كان يفكر فيه؟ وقاومت رغبتها في الاقتراب منه والامساك بيده مرة اخرى لتجنبه مرارة الافكار الكئيبة. كم كان سعيداً قبل مجيء حنا! لم يكن كئيباً ولا يشعر بالحزن لمصيره بل كان يغتنم فرص السعادة كلما سنحت له. وكان هادئاً هدوء المستسلم لمصيره خلال الأيام القليلة الباقية له يرتشفها بهدوء ولذة . . . الا ان سعادتهما انتهت وساد بينهما الوجوم الآن:

- سنتناول عند القرية، سنتناول الغداء في مطعم صغير أعرفه . . . يتوفر فيه السمك الطازج والخضروات وانواع الفاكهة.

وجلب لهما صاحب المطعم قائمة الطعام. وبينما يتفحصانها شغل نفسه بترتيب منشفة شاي بيضاء وضعها امام جودي

قال له فيداس :

ـ سنأكل السمك يا سبيروس وسنترك لك اختيار الباقي.

ـ حسناً جداً، ستتناولان غداء جيداً.

ـ ألم يسمّ الكثير من الرجال سبيروس هنا؟

سألته جودي بينما تابعت بنظرات الفضولية الرجل وهو يدخل المطعم، بينما كانا جالسين الى طاولة وضعت في الخارج تظللها أوراق شجرة العنب.

ـ أينما توجهنا وجدنا رجلاً يدعى بذلك الاسم.

ـ في كل بيت في كورفو، هناك طفل يدعى سبيروس. لأنه اسم القديس الحامي للجزيرة، القديس سبيريدون. وترغب كل عائلة باطلاق اسم سبيروس على احد اولادها. . . هذا هو التفسير الوحيد للظاهرة.

وعاد فيداس الى صمته بينما نظرت جودي حولها تتفحص المكان. كانت الزهور وفيرة كالعادة حول المقهى، وغطت الشراشف البيضاء الطاولات الموضوعة خارج المقهى بينما توجهت زهور شجرة الرمان الكبيرة نحو ضوء الشمس وحمت أشجار الليمون الحديقة من الريح الآتية من الغرب وفاحت في الجو عطور الأزهار مضيفة بذلك سحرها الخاص على المكان. قالت جودي أخيراً:

ـ اخبرني عن القديس سبيريدون. . .

فبدا الاهتمام على وجه فيداس. كم كان وسيماً، طويل القامة، داكن البشرة وجذاباً بعينيه الرماديتين وبشرته الصافية. أحست بتسارع دقات قلبها، كما يحدث لها دائماً كلما تفحصته هكذا. وقبل ان تحول وجهها لافكارها الخاصة نظر اليها فيداس متسائلاً فكررت السؤال من جديد.

ـ كان مطران قبرص ولم يزر كورفو في الحقيقة، طوال حياته، الا انه دفن هنا بعد موته. . ويعزو له الناس حدوث الكثير من المعجزات.

ـ بعد وفاته؟

قاطعت جودي لتذكره بخطئه اذ قال اولاً ان القديس لم يزر الجزيرة اثناء حياته. ولدهشتها اومأ فيداس ايجاباً:

ـ نعم، بعد وفاته. يقال بأنه انقذ الجزيرة من المجاعة، وانهى طاعوناً مسح اوروبا كلها. . . و. . .

ثم توقف عن الكلام وقال مستغرباً:

ـ وماذا بعد؟

وكأن جودي كانت تعرف الجواب، فلاحظت عودة الابتسامة الى وجهه بعد طول تجهم.

ـ اظن انه أنقذنا من غزو الاتراك ذات مرة. آه، نعم. . . ساعدنا على دحر الترك. . . كما اتذكر الآن.

ـ كل هذه المعجزات بعد وفاته؟ لكن الناس لا يعتقدون بصحة ذلك بالتأكيد؟

ـ بالطبع، يعتقدون بذلك. ويتم حمل تابوته اربع مرات في السنة، خارج الكنيسة وفي انحاء الجزيرة كلها. ان كنيسته مليئة بالكنوز المهداة من قبل ناس شفوا بمعجزاته بطريقة او بأخرى.

وضحك فيداس لتعبير الاشمئزاز المرتسم على وجهها المفكرة حول تابوت جثمان متحلل منذ عام وحمله في مسيرة تطوف الجزيرة. قالت اخيراً:

ـ انه أمر يثير التقزز.

وسمعا اقتراب سبيروس حاملاً صينية الطعام، فطلب منها فيداس الصمت، والا جرحت مشاعر سبيروس بملاحظتها.

ـ هل تؤمن بكل هذه الأشياء؟

سألته جودي بعد ان غادر الرجل، فهز رأسه نفياً.

ـ لا لا، ليس انا شخصياً لكن غالبية الناس يفعلون. ان القديسين مهمون بالنسبة للشعب اليوناني.

وأخبرها كيف يقفون في صف طويل داخل الكنيسة انتظاراً لتقبيل ايقونته.

- وفي الحقيقة يقوم بعض الناس بتقبيل قدميه...

وإذ لاحظ توقف جودي عن تناول الطعام كلية أضاف ضاحكاً:

- من خلال الصندوق الزجاجي المحيط به فقط.

وضحك من جديد مداعبا إياها ومحاولاً اثارتها فأحست بالتقارب يسودهما. ومرّ النهار بطريقة أفضل من اليوم السابق حتى انها تساءلت عن امكانية عودة الانسجام بينهما بعد مرور فترة قصيرة من الزمن. عادا الى البيت بعد الغداء، حيث اخذ ملابس السباحة ثم قضيا بقية النهار متمددين قرب البحر وتحت اشعة الشمس.

هب نسيم عليل من جهة البحر فراقبت جودي الأمواج تتقلب ثم تتلاشى عند الساحل. كانت السماء صافية سوى مجموعة غيوم صغيرة دفعها النسيم بعيداً عن الجزيرة.

- هل ترغبين بتناول الشاي؟

كان فيداس مضطجعاً على الرمل واستدار نحوها عندما طرح سؤاله. وانتهز الفرصة لينظر الى زوجته وبشرتها السمراء بتأثير حمامها الشمسي اليومي.

- سيكون ذلك لطيفاً... هل نستطيع تناوله في المقهى القريب؟

اومأ موافقاً ونهض واقفاً على قدميه فالتقط المنشفة وساعدها على تجفيف شعرها. كانت لمساته ناعمة ورقيقة ولم تستطع مقاومة احاسيسها فاقتربت منه وقبّلته على خده فابتعد عنها بحركة تلقائية واستدار ليرتدي ملابسه. أحست جودي بغصة في حلقها فالتقطت منشفتها ومشطت شعرها ثم ناولت فيداس المشط ليمشط شعره بدوره.

وبالطبع، لم يمسك بيدها عندما سارا سوية. بل بالعكس زاد من

سرعة خطواته ليخلق مسافة فاصلة بينهما لم تستطع جودي اجتيازها...

٩- على شواطيء اليأس

بدأ فيداس يقضي معظم وقته في مكتبه بينما يترك جودي لتشغل نفسها بالقراءة أو التجول في الحديقة، متحسرة على الأيام الضائعة والذكريات التي كانت تدخرها للسنوات القادمة، حين تستعيد صورة هنائها حتى تمحو الذكريات وتتلاشى تدريجياً. وحتى لو تقدّم بها العمر، فكرت جودي بأنها ستكون قادرة على استعادة ذكرى زوجها وحبّها. الا ان زيارة حنة أحالت الأسابيع الأخيرة الى مخاوف مهزوزة بالمقارنة مع الماضي القريب السعيد.

تنهدت وتحركت قلقة في كرسيها. ثم رفعت رأسها فقطبت جبينها... ماذا جرى لليدا؟ لقد لاحظت اضطراب ليدا واقترابها منها بطريقة ذكرتها بسلوكها يوم ابلغتها بزيارة حنة. تقدمت ليدا نحو

جودي متلفتة حولها كأنها تخشى ان تكتشف سراً. ثم همست:

- يا سيدة فيداس. هنا سيد أبلغني رسالة لك وأخبرني الا اذكر شيئاً للسيد فيداس أو زوجي أو اي شخص آخر عنك.

طرفت جودي بعينيها وطالبت ليدا بالتوضيح:

- يجب ان أبلغك هذه الرسالة. يقول الرجل انه طبيب ويريد لقاءك بشكل ملحّ.

يقول ان للأمر علاقة بالسيد فيداس وأعطاني مكافأة لأبلغك ما قاله... يجب الا تخبري زوجي فهو سيأخذ مني النقود وأنا بحاجة ماسة لها...

قاطعتها جودي بلهجة مرتجفة:

- لن أذكر شيئاً لسبيروس يا ليدا. أين الطبيب؟

- هذه الورقة...

وسحبت ورقة مطوية من جيب فستانها الأسود.

- كتب الرجل رقم تلفونه وطلب الاتصال به. قال يجب ألا تخشي شيئاً.

- وماذا عن اسمه؟ ما هو اسم الطبيب؟

- انه اسم غريب وقال أني سأنساه...

واستلمت جودي الورقة مستغربة ونظرت الى رقم الهاتف... طبيب؟ ما معنى هذا؟

- اخبرني ان أقول لك انه طبيب والا تخشي شيئاً يا سيدة فيداس. انه رجل أشيب ووجهه ذو تجاعيد كثيرة. وأظن انه رجل طيب.

- أين التقيت به؟

ارتجفت جودي وتساءلت في نفسها ما اذا كانت تبدو شاحبة كما أحست. لا بد انه طبيب يعرف شيئاً عن فيداس. ولكنه بالتأكيد ليس طبيبه الخاص...

لم يلجأ الى كل هذا التحفظ؟

- كما تعلمين، اعمل يوماً في البستان وقد مرّ هذا الرجل عدة

مرت امامي ثم عاد ونظر الي. كان سيروس في البستان ايضاً فانتظر الرجل ذهاب سيروس الى المنزل ثم همس قائلاً بانه سيعطيني مكافأة مالية اذا ما ابلغت زوجة فيداس ملاحظته. سأذهب الآن يا سيدة فيداس، ارجو الا تقولي شيئاً لسيروس.

- اعدك بذلك. شكراً لاعطائي الورقة.

ابتعدت المرأة. ولم تكن فضولية مثل زوجها. لا بد ان الطبيب الكشف ان من الأسلم الوثوق بها بدلاً من الزوج.

حدقت جودي في الورقة طويلاً وتسارعت دقات قلبها. هل كان هذا ممكناً؟ ودخلت المنزل فصعدت الى الطابق الاول نحو غرفة يستخدمها فيداس قبل زواجها. لكنها نظرت الى الهاتف فترة طويلة قبل ان ترفع السماعة اخيراً.

وبعد خمس دقائق كانت جودي جالسة على حافة السرير ترتعش من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. جبينها مغطى بالعرق وعواطفها مشتتة. انه الأمل. . الأمل اخيراً. . بعد بقاء خمسة اسابيع فقط على مصير زوجها المحتوم.

في الأيام السابقة، كلما قال فيداس انه ذاهب للعمل في مكتبه كانت جودي تحس بالانقباض. الا انها وبعد انتهائها من الافطار صبيحة اليوم التالي، حسبت الدقائق انتظاراً لدخوله المكتب. ورأته مسترخياً في كرسيه على الشرفة، حزيناً كعادته. . . كان يفكر بكل هذا الجمال ومغادرته اياه بعد أسابيع. . . وأرادت ان تقول له. . . ويا عزيزي فيداس، هناك أمل. الا انها لم تجرؤ على تلفظ الكلمات حيث أمر الدكتور فان ألفن على كتمان الخبر عن زوجها الى ان تلتقي به.

قالت جودي اخيراً:

- هل ستعمل في مكتبك اليوم؟

فلمحت استثارة فيداس القاتمة. عضت شفتها وواصلت بنعومة:

- من الأفضل التبكير بذلك كي تنتهي بسرعة لتعود الي.

نظر اليها فترة طويلة الا انها كانت مخلصة في نصحها فلم يتطرق اليه الشك.

- قلت انك يجب ان تعمل كل يوم خلال هذا الاسبوع.

كلا لم يعد يرغب بقضاء كل دقيقة معها. . . بل يفضل العزلة للتفكير بكلمات حنة. . . كلمات كان من شأنها ان تمحو صورة جودي المثالية في ذهنه.

- نعم يا جودي، قلت ذلك.

وبدون كلمة اخرى تركها ذاهباً الى المكتب.

بعد لحظات، دخلت جودي الى المنزل لتأخذ سترتها وحقيبة يدها الصغيرة من غرفة النوم.

وبعد فترة وجيزة كانت تركض الى مكان موعدها مع الطبيب. كانت سيارته هناك. . . رأتها عن بعد. . . ثم احست بالخوف. ربما كان محالاً؟ ربما كان ما قاله لها خدعة! ربما ستكون ضحية اختطاف مدبّر. وتخيلت قلق زوجها وما سيعانيه من مصاعب نتيجة خطوتها المتسرعة. الا ان رغبتها في معرفة ما سيحدث لفيداس كانت الاكثر الحية فأسرعت نحو السيارة.

غادر الرجل السيارة اذ رآها تتقدم فأحست بالاطمئنان مستعيدة ما قالته ليدا عن أوصاف الرجل وملامحه الطيبة. وقف الى جانب السيارة منتظراً اياها والباب مفتوح. ولاحظت بياض شعره وتجاعيد وجهه فبعث مرآه الطمأنينة والثقة في نفسها. وبددت ابتسامته كل أثر للشك.

قال حين وقفت الى جانبه:

- يجب ان تعذريني يا سيدة تيرون لهذه الطريقة السرية في استدعائك، الا انها ضرورية وستوافقينني على ذلك قريباً. ارجو ان تدخلي السيارة وسنذهب الى مكان نستطيع التحدث فيه بحرية.

لم تتحرك جودي اذ لم تكن قادرة على الحركة واكتفت بالهمس

قائلة:

ـ دكتور فان الدن. . . ان زوجي. . . قلت انك تستطيع معالجته.

لفظت الكلمات بلهجة أظهرت للطبيب مدى حبها واهتمامها بزوجها. بدا العطف واضحاً في وجهه وأحست بيده تلمس ذراعها لتقودها الى السيارة.

ـ اذا كانت هناك اي فرصة. . . اخبرني الآن رجاء.

ولدهشتها الشديدة انهمرت دموعها بغزارة بعد دخولها السيارة وجلوسها الى جانبه، ثم قاد السيارة بها.

ـ لا بد انك عانيت كثيراً يا سيدة تيرون. خذي منديلاً من تلك العلبة وامسحي دموعك. . . دعينا نبتعد عن هذا الطريق الرئيسي الى مكان هادىء حيث نستطيع تبادل الحديث.

قاد السيارة بصمت فقالت جودي بعد ان جففت دموعها:

ـ ما لا استطيع فهمه هو عدم لقائك بزوجي بدلاً مني.

اجابها باختصار ووضوح يدلان على قلة صبره:

ـ لأنه يجب اتخاذ قرار حاسم في المسألة واعتقد انك من سيتخذ القرار.

واذ احست برغبة في الصمت، خلدت هي الاخرى الى السكوت وفكرت. . . قرار؟ بالتأكيد، اذا هناك أمل بإنقاذه فلا بد من وجود قرار واحد فقط. يا له من شيء غريب هذا الذي يتحدث به.

ورغم قلقها نجحت في اخفاء شعورها وصمتت انتظاراً لتوضيحه. . . واخيراً انحرف الدكتور بالسيارة الى شارع جانبي ثم الى طريق ترابي واوقف السيارة هناك. وحين اوقف محرك السيارة استدارت نحوه والتساؤل يطل من عينيها. بدأ الطبيب حديثه قائلاً:

ـ نعم، انك ملهوفة ومن حقك ذلك. . . سأوضح لك كل شيء ولابدأ اولاً.

ثم اوضح لها انه كان يعمل طيلة السنوات الخمس الماضية في وطنه هولندا، الا انه قرر بعد ذلك مع صديق له تكريس جهودهما للبحث في احد امراض جزر الشرق الأقصى. اختارا ثلاث جزر لا تفصل بينها مسافة كبيرة، وفي أحدها بني فيدلس ذلك المستشفى الحديث.

ـ جعلنا من تلك الجزيرة مركزاً لأبحاثنا بسبب المستشفى ومعداته الحديثة. والمرض الذي أصيب به زوجك مرض منتشر في الجزر الثلاث. الا اننا لم نعلم حينئذ باصابة زوجك. وكان غموض المرض لغزاً لنا فكرسنا جهودنا كلها لمعرفة طبيعته فاكتشفنا دواء بدأنا تجربته.

ولمحت جودي لدهشتها انطفاء بريق الانتصار في عينيه وحل الفشل محله.

ـ اثارنا الاكتشاف الى حد بعيد، فالمرض خطير وقاتل ولم يكن هناك علاج له. وتصوري ما حدث لنا حين مات ثاني مريض عالجناه بالدواء. ثم عالجنا عدداً آخر من السكان المحليين الا ان اغلبهم توفي.

صمت مرة اخرى وقطب جبينه، ثم هز رأسه يأساً. احست جودي برطوبة يديها وسرت البرودة في جسمها كله. وحين ذكر الدكتور فان الدن نجاحه ارتفعت معنوياتها وكانت تصرخ فرحاً للأمل الجديد حيث المستقبل المشرق في انتظارها مع زوجها. . . ولكن. . .

ونجحت اخيراً في سؤاله والألم يحز في صدرها:

ـ هل عالجت عدداً كبيراً من الناس؟

ـ عدداً كبيراً. . .

وسكت متنهداً.

ـ ما هو عدد الحالات الناجحة؟

ـ ثلاث، يا سيدة تيرون.

- من أي مجموع؟
- من مجموع أربعة وثلاثين شخصاً عولجوا بهذا الدواء.
- أربعة وثلاثون، نجا منهم ثلاثة مرضى فقط!
هذا يعني ان نسبة نجاح فيداس ستكون أقل من واحد بالعشرة. شحبت وأحست كما لو ان الدم جف في عروقها.
- كيف عرفت بحالة زوجي؟
- من الأحاديث المتناقلة بين الأهالي. ولكن منذ أسبوعين فقط. ورغم اننا كنا نعمل في مستشفى زوجك الا اننا لم نعلم بإصابته بالمرض. وحالما عرفنا لم نضيع وقتاً في التقصي والبحث. فاتصلنا بزملاء لنا في حولندا فاتصلوا بدورهم بأطباء زوجك الا ان الأخيرين نصحوهم بنسيان المسألة... لم يكن نجاحنا كبيراً لذلك أجاب فيداس اطباءه بانه يرغب قضاء الأسابيع الأخيرة من حياته سعيداً خاصة بعد زواجه من فتاة اطلق عليها لقب ملاك...
ونظر الطبيب الى جودي فلاحظ احمرار وجهها خجلاً فطلبت منه مواصلة الحديث.
- وقرر الأطباء، اخيراً، ان من القسوة حرمانه وزوجته من سعادتها المؤقتة وتعريضه لخيبة أمل. واكتشفنا نتيجة تحقيقاتنا الخاصة ان عدداً قليلاً من الناس يعرف بإصابة زوجك بالمرض فباستثناء عدد من الأطباء ورجال الأعمال، كتم زوجك الخبر عن الجميع.
فكرت جودي بجون والمعلومات التي أخبرها اياها وسمع بها عن طريق صديق لفيداس.
- هذا القرار...
بدأت جودي الحديث الا ان الدكتور قاطعها:
- اولاً ارغب بمعرفة مدى ثقتك بي يا سيدة نيرون؟ انك انكليزية... ثم هناك شيء في عينيك يعبر عما هو اكثر من الحزن لمصاب زوجك. كيف تعرفت به؟

ترددت لحظات، ثم اخبرته القصة بكاملها، منذ البداية حتى النهاية. منذ لحظة قراءة رسالة فيداس لحنة وعرضه الزواج عليها الى غي، حنة وفضحها لسرّها... وما تلا ذلك من قطيعة بينها وبين زوجها.
أخبرته جودي بكل شيء، وراقبت في نفس الوقت تعابير وجهه المترجحة بين الدهشة والتعاطف خاصة حين تحدثت عن حبها العظيم لفيداس وحبه لها. وانهت القصة بقولها انها لا تستطيع الآن اقناع فيداس بحبها له. فهو يعتقد أنها انما تشفق عليه.
وقال الدكتور حين صمتت جودي:
- يا لها من قصة عجيبة. تزوج فيداس خطأ الا انه احب الفتاة.
فأضافت جودي ببساطة:
- واحبته هي أيضاً.
- نعم، حقاً. وأردت حفظ السر الى حد عرضت فيه الثروة كلها على حنة مقابل صمتها؟
- كانت الثروة من حقها اساساً، فقد كانت الفتاة المختارة للزواج، ولولا مغادرتها انكلترا لحدث ذلك. ثم انتحلت انا شخصيتها وتزوجت فيداس بدلاً منها. واستمر الطبيب يهز رأسه متعجباً، وبدا على جودي نفاد الصبر. فقد كانت في انتظار توضيحه للعلاج المقترح.
- القرار... لم أفهم حتى الآن لماذا لم تحاول الاتصال بزوجي مباشرة؟
- من الطبيعي ألا نحاول الاتصال به احتراماً لرغبته وما قاله لأطبائه. انهم لا يثقون بعلاجنا اطلاقاً. وبصراحة لا استطيع لومهم على ذلك. كما اخبرهم السيد نيرون عن سعادته العظيمة وزوجته نظراً، لتشخيص بوجوب تركه لوحده والسماح له بالتمتع بسعادته خلال الأسابيع القليلة المتبقية له. القرار يعود لك. تستطيعين مواصلة الوضع كما هو او مناقشة الموضوع مع زوجك...

- ولكننا لن نخسر شيئاً في المحاولة . . .

قالت محتارة ومستغربة للطريقة التي تفادى بها الطبيب النظر اليها مباشرة:

- ستعالجه فاذا ما فشل العلاج سيتوفى وهو أمر سيحدث له في كل الأحوال.

توقفت بانتظار استجابته، الا ان الطبيب بدا في متاهة وعالم آخر. فكررت ما قالته من قبل:

- كلا، لن نخسر شيئاً.

- يا سيدة نيروث، اعتقد ان زوجك سيعيش فترة أطول مما اخبره اطباؤه.

- كيف تستطيع قول ذلك يا دكتور فان الدن؟

ورغم تمالكها اعصابها طوال الوقت، فقدت جودي سيطرتها على نفسها الآن.

- انك لم تلتق بزوجي، فكيف تستطيع الحكم على ذلك؟

- كلا، اني رأيته . . . انا بذلت جهدي للتحقيق في كل شيء . . . ورأيته يوم امس معك على ساحل البحر. كنت منطرحاً على بعد امتار منكما. الا انه حين سبح لوحده ذات مرة اقتربت منه الى حد كبير. كما تبعتكما الى المقهى، وجلست في مكان استطعت فيه مراقبة زوجك . . . لا اعرف طول المدة التي سيعيشها الا انني عالجت الكثيرين من سكان الجزر واعرف جيداً أعراض النهاية. اما اطباؤه، فتنقصهم الخبرة اللازمة لذلك اخبروه انه سيعيش عاماً واحداً.

- عاماً؟

- نعم، في حينه.

لم يهتم فيداس في حينه ويفكر بالزواج لان شقيقه كان حياً وكانت عائلته الوريث الشرعي. الا انه قرر الزواج بعد وفاتهم وكان قد بقي امامه ستة شهور فقط.

- أيعلم زوجك باطلاعك على مرضه؟

قطع عليها صوت الطبيب سلسلة افكارها [illegible] تكلفت حنة باخباره متهمة اياها بالزواج منه [illegible] بالحصول على ثروته.

- هل صدق زوجك تلك الادعاءات؟

ارتسمت المرارة على وجهها:

- نعم، لأنني كتمت معرفتي بالسر. وهكذا أضيفت هذه الى قائمة الاكاذيب.

- الا انه تفهم، بالتأكيد، رغبتك في حمايته من الألم؟

- لم نناقش الموضوع ابداً. ولا اعرف ما الذي يفكر فيه فيداس. لم يكن منفتحاً معي بل اكتفى بالصمت المؤلم واجترار احزانه وحده.

ادارت جودي رأسها فلاحظ ارتجاف شفتيها.

- انه لم يعد يصدق حكاية زواجه تماماً.

ثم سألت الطبيب عن الفترة التي يعتقد ان زوجها سيعيشها.

- استطيع القول من ملاحظتي ومراقبتي لسكان الجزيرة المرضى، انه سيعيش شهرين آخرين. لاحظنا في كل الحالات ظهور بقعة زرقاء على جانبي فكي ضحية المرض او على عنقه، في حدود ستة اسابيع قبل وفاته . . . ولاحظت ظهور البقعة على عنق زوجك الا انها قاتمة اللون الى حد لم يكن في مقدوري ملاحظتها بدون البحث عنها. وصمت قليلاً ثم اضاف بصوته الهادئ الرتيب:

- وهكذا بما ان امامه شهرين يحياهما فقد تقررين مواصلة الحياة معه بهدوء.

قطبت جودي جبينها وقالت بنفاد صبر:

- قلت لك مرتين يا دكتور فان الدن ان معالجتك لزوجي لا تعني خسراننا شيئاً ابداً.

وبدا وكأنه ينشد أفضل طريقة لتوضيح الامر لها:

- في كل حالة عالجنا فيها المريض حدثت الوفاة في فترة أقصر من المتوقع. وساد بينهما صمت ثم قالت جودي:

- هنالك، اذن، شيء نخسره؟

- نعم يا سيدة نيرود... شهران من السعادة. وهكذا يجب ان تفكري جيداً قبل اتخاذك القرار. اذا قررنا معالجة زوجك سيتطلب الأمر ارساله الى المستشفى في اثينا. ويجب ادخاله المستشفى فوراً... فكل دقيقة لم تزيد من خطورة حالته. هذا اذا قررت وزوجك المخاطرة خاصة وانت تعلمين فسألة نسبة النجاح. فاما الحصول على كل شيء، او فقدان كل شيء... اذا فشل العلاج سيموت خلال أسبوع واحد اما اذا نجح... حينئذ...

ولم يكن هناك داعٍ لتقول اي شيء.

قالت جودي بصوت مذعور:

- كلا لا نستطيع المخاطرة يا دكتور. خصوصاً والنسبة ثلاث من اربع وثلاثين حالة.

ثم هزت رأسها بتصميم:

- كلا، لا اريد فقدانه... ما لم تكن هناك حاجة ماسة. شهران! انه وقت طويل، طويل!

وكانت على وشك الاصابة بانهيار عصبي.

- شهران كاملان! اريد ان اعيش الشهرين معه... لا ان اكون ارملة قبل ذلك الوقت. شكراً لاتصالك بي واقدّر كثيراً جهدك ونواياك. ولكن ارجوك عد الى الجزيرة واتركنا وحدنا... اتركنا لسعادتنا المؤقتة.

وانهمرت دموعها وغصّت بكلماتها. كانت ترتجف من قمة رأسها حتى اسفل قدميها. فأمسك الطبيب يدها ليهدّىء من روعها.

- يا سيدة نيرود... سأعيدك الى البيت الآن. حاولي الاسترخاء. هذا مهمّ جداً... استرخي اولاً ثم فكري ثانياً. ستجدين ان ذهنك أصفى بعد ان تنامي، لذلك يجب ان تقرري انك ستنامين نوماً عميقاً...

- كلا، لن انام، انا اعرف ذلك جيداً... ماذا يجب ان افعله؟

وبكت بمرارة وحرقة متسائلة:

- دكتور فان آلدن، ماذا يجب ان افعله؟

- اني متأكد يا عزيزتي ان القرار الذي ستتوصلين اليه صباحاً هو القرار الصحيح، لك ولزوجك. اذا قررت العلاج عوضني فسيكون القرار صحيحاً لك. اما اذا قررت القبول فذلك صحيح رغم هاتفي...

١٠- لن ترحل الشمس

دهشت جودي لقدرتها على إخفاء خبر موعدها بعد أن عادت إلى البيت. ورغم أن فيداس ذكر أثناء تناول العشاء شيئاً عن شحوبها، فإنه قبل بما قالته عن معاناتها من الصداع الشديد. وسألها بنعومة وهو يراقب تعابير وجهها:

- هل تشعرين بالتحسن الآن؟

- نعم يا فيداس، شكراً. أنا أفضل بكثير.

ونظرت إلى عنقه في محاولة منها لرؤية البقعة الزرقاء. إلا أنها لم تعثر عليها. ربما سيعيش أكثر من شهرين... ربما سيبقى ستة أشهر أخرى. من الحماقة [illegible] الأمر. كلا، قالت جودي مخاطبة نفسها. وقررت إبقاء الأمور على حالها.

اقترح فيداس التمشي بعد العشاء. ثم جلسا لفترة قصيرة في الشرفة لتناول القهوة. كانت ليلة جميلة لا تحظى بها إلا في الشرق. كان القمر كاملاً يغمر الحديقة بنوره الغامر. ومن ظلمة السماء المخملية كانت تطل ملايين النجوم. وفجأة، رأت جودي سقوط نجمة ضاعت إلى الأبد في هوة اللانهاية.

- كم ستكون الرحلة جميلة الآن.

يا لها من لهجة رسمية وخالية من المودة يتبادلانها الآن! كانا في الماضي قريبين من بعضهما، حرين في التعبير عن مشاعرهما وعواطفهما... يجب أن تتجاوز الحاجز... يجب أن تتكلم. ربما أن السبب هو التوتر الذي تشعر به منذ لقائها بالدكتور قال أمس... وربما تفكيرها بالشهرين القادمين واحتمال استعدادها لشهر عسلهما ومواصلته ما داما يرغبان بذلك.

- عزيزي فيداس... ألا تقبل حقيقة حبي مرة أخرى؟ وأن ما أحس به نحوك هو الحب... الحب الحقيقي؟

وحدجته بعينيها إلا أنه هز رأسه. أحست بأنه رغم رغبته في تصديقها هناك ما يمنعه من الاعتقاد بصحة ما تقول.

وأخيراً قال بهدوء وبرودة:

- أن عطفك مفهوم يا جودي. أنك ذات طبيعة عاطفية ومتسامحة. رأيت في البداية أني محتاج للزواج بسبب ما تبقى لي من وقت قصير. كذلك أدركت أن زواجي من حنة سيتطلب في الشفاء.

ولم يخبر زوجته حتى تلك اللحظة باقتراح حنة تغيير الوصية وترك ثروته [illegible] ابن أخيه، كما أراد في السابق.

ذهلت جودي لسماع ذلك واستغربت أن يوجد كائن خالٍ من المشاعر تماماً مثل حنة. تطلب من رجل على وشك الوفاة بعد عدة أسابيع طلباً كهذا!!

- لم أغير وصيتي... إنك زوجتي وسترثين كل ثروتي.

- فيداس، رجاءً! لا أريد سماع شيء عن المال. ما [illegible] حين

أكون وحيدة بدونك؟

كان وجهها اكثر شحوباً من العشاء وشفتاها ترتجفان. الا ان زوجها نظر اليها بلا عاطفة:

ـ كان المال سبب الزواج في البداية (كلا جودي لا تقاطعيني رجاء)، باعترافك أنت وفكرت بالثروة المتوقعة بعد مرور ستة أشهر. وفي اعترافك لي بعد مغادرة حنة، حدثتني عن احساسك بالخيبة والفشل. وجدت زوجة والتك ذلك مراراً فطورت ان تغيري وضعك وان تصبحي غنية، وحينئذ لن يحتريك أحد فاشلة. فيما بعد اعترفت بأن عطفك غطى اهتمامك الأول واستطعت ان توجهي عاطفتك نحوي.

توقف وقد بدت عليه امارات الحزن ثم واصل:

ـ انه العطف فقط يدفعك لاقناعي بحبك.

ورقّت شفتاه اذ قال:

ـ نعم يا عزيزتي جودي، انك عاطفية ورائعة ولو لم تظهر حنة لواصلنا حياتنا وحبنا السعيد. وانحنى لالتقاط كوب القهوة فلاحظ خلوه فأعاده الى مكانه.

ـ ربما كان عليّ التظاهر بالسعادة حتى النهاية.

نظرت اليه شاحبة وقالت وهي ترتعش:

ـ لا استطيع اقناعك يا فيداس مهما حاولت.

وهزّت رأسها بحرقة. ثم أضافت وهي تنهض:

ـ لنبدأ سيرنا الآن...

ـ ستحسين بالبرد.

وذهب الى المنزل ليجلب سترتها ثم عاد ليضعها على كتفيها. سرّت لاهتمامه ولو انها كانا في وضع طبيعي لشكرته شاكرة الا انها لم تحرز على ذلك الآن... لقد فقدا الكثير منذ زيارة حنة المشؤومة!

اجتازا بوابة الحديقة تاركين المنزل الفضاء وراءهما. ودخلا حقلاً لا

يتميزه غير القمر حيث الهواء مفعم برائحة الأعشاب البرية النامية على جوانب التل وحفيف أشجار الزيتون. واستعادت جودي ما حدث ذات ليلة حين كانا يسيران سوية فهمس فيداس في أذنها:

ـ هل تودين مواصلة السير يا عزيزتي أم تريدين العودة؟

فابتسمت وهمست موافقتها بالعودة، ثم عانقا بكل حب وحنان. انهمرت دموعها لذكرى عزيزة اختفت فعادت الى الواقع المر. مسحت دموعها فوقف زوجها ناظراً اليها لحظة ثم، وبحركة رقيقة، مسح هو الآخر دموعها عن خديها.

ـ لا تبكي يا جودي. لقد قمت بكل شيء من أجلي ولا حاجة لاحساسك بالأسف. كنت سعيداً معك أكثر مما كنت مع أي امرأة اخرى. كنت ملاكاً.

وساعدت كلماته على زيادة انفعالها ودموعها فسحب فيداس منديله من جيبه قائلاً:

ـ لا أريد هذا الندم، ألم أقل ان لا شيء يستحق الندم؟

ـ ليس لندمي علاقة بما تفكر فيه... ان دموعي من أجل شيء آخر.

ثم لوّحت بيديها يأساً:

ـ ما الفائدة؟ انك مصر على عدم الاقتناع...

وأرادت ان تسأله عما اذا كان حقاً، لا يصدق حبها او يظنها كانت دمية في مشاعرها طوال الوقت... أرادت ان تذكره بلحظاتها لترى بوضوح أكثر. الا انها تعبت من المحاولة ويئست فاستسلمت للهم ولم تقل شيئاً.

كان يتصرف بطريقة قاده اليها اقتناعه بما توصل اليه منذ قدوم حنة... انه متأكد من شفقتها عليه وعطفها لأنها فتاة طيبة، أرادت ان تغمره بالسعادة في أيامه الأخيرة... وها هي تحاول اقناعه بحبها لأنها تعلم مقدار كآبته وألمه، وتحاول ان تنسيه حتى ذلك. كان الوضع مستحيلاً بينهما. ولم يعد في الامكان اصلاح الماضي... انه حتم بينهما

حاجز لا نهاية له. أخذا يسيران من جديد، واذ دخلا منطقة مكتظة بأشجار الزيتون أحست جودي بتعاستها تتفاقم وكانت على وشك الاختناق فقالت:

- أريد الذهاب الى البيت. لا أحب السير هنا.

وقف الى جانبها وقال:

- جودي.. انك ستمرضين نفسك بهذه الطريقة.

لفظ كلماته بلهجة حادة وصارمة لم تسمعها من قبل...

- هل تستطيع الذهاب الى البيت؟ اني متعبة يا فيداس.

- منهكة وغير سعيدة...

وبحركة غير متوقعة أمسك يدها وقادها الى البيت. وبعد وصولهما قال شيئاً أضاف صدمة جديدة الى مشاعرها:

- هل تريدين البقاء وحيدة الليلة؟ بما انك متعبة جداً؟

حدقت في وجهه. وكان أشبه بقناع حديدي. وأجابت بصوت مرتجف:

- اذا كان هذا ما تريده.

- انه ليس ما أريده أنا... بل ما أنت في حاجة اليه. وستشعرين بالتحسن غداً.

- أين سأذهب اذن؟

- ستنامين في غرفتنا، بينما أنام أنا في الغرفة المجاورة.

استلقت في الفراش، وبقيت صاحية كما أكدت للطبيب. دخل فيداس غرفته بعد ساعات واذ سمعت صوت خطواته، بدأت بالبكاء مرة أخرى. هل تذهب اليه؟ سألت نفسها مرات ومرات. الا ان فكرة عودتها الى الغرفة قبله لم ترق لها. لذلك بقيت وحيدة. تفكر.. وتفكر.. وتفكر.

تسلل ضوء الفجر الى الغرفة فنهضت جودي من فراشها وتأملت وجهها في المرآة. تركت دموع الليلة السابقة آثارها واضحة. استحمت وحدها لأول مرة وسألت نفسها ما اذا كان فيداس

صاحياً.

وعادت الى غرفة النوم فوقفت في منتصفها متأملة... كم بدت وحيدة منعزلة! وبدت لها كبيرة وخالية من الدفء. وفكرت: ستكون هكذا حين يذهب الحبيب.

وعضت شفتيها بقسوة لتكبح دموعها. يجب ان تحاول التخلص من آثار دموعها وليس زيادتها. يجب ألا يعلم فيداس بمقدار معاناتها. لا سيزيد ذلك من تعاسته. ورغبتها الوحيدة هي تقليل آلامه وعذابه خاصة بعد معرفته الحقيقة عنها. خاصة وانه بدأ يتقبل وضعه الجديد مستسلماً له رغم افتقاده لأيامه السعيدة السابقة.

فلاشى الهناء الى الأبد. الا ان هذا لا يعني وجوب قضاء فيداس أيامه الأخيرة معذباً. وسؤاله اياها النوم وحدها في الليلة السابقة لم يكن الا نتيجة سلوكها هي وحصيلة لقائها بالدكتور فان ألدن. كان توترها قوياً ورغبتها في الكتمان أدت الى انفجارها العاطفي. لذا يجب ان تبذل جهداً أكبر للسيطرة على مخاوفها وعواطفها لتعيد اليهما الهناء.

بعد ارتدائها ملابسها، جلست على حافة السرير اذ لم يتعدّ الوقت الساعة الثامنة والنصف صباحاً بعد. هل كان فيداس مستيقظاً؟ وعكس رغبتها في الليلة الماضية، لم ترد التوجه اليه فوراً. بل رغبت بالبقاء وحدها والتفكير من جديد بما سمعته من الطبيب فان ألدن. قال أنها ستفكر بوضوح أكبر في الصباح. ورغبت ان يكون قرارها صحيحاً ومناسباً لها ولزوجها. خلال ساعات الليل الطويلة اعترفت جودي لنفسها، رغم موافقتها على قرار زوجها، ان رفضها نابع ايضاً من داخل أنثى. اذ رأت في خطة زوجها السريع وضعها فقط وتأثير العلاج عليها وحدها. تجاهلت حياتها الخاصة، وحدها الكاملة معه أيضاً. وكانت النتيجة موافقة زوجها في رأيه رغم احتمال شفائه. كل ما همها هو الاحتفاظ به مدة الشهرين المقبلين... شهران تكون فيها حياتها سعيدة وهانئة. الا ان جودي أعادت التفكير في

دوافعها. يجب استشارة فيداس قبل اتخاذ القرار النهائي. وفيداس هو من سيتخذ القرار الحقيقي الصحيح وليس هي.

توجهت الى غرفته في الساعة السابعة، وقت نهوضها المعتاد. ووجدته لا يزال في الفراش يستند الى أحد مرفقيه. ونظر اليها حالما فتحت الباب. مدّ يده نحوها فخطت بسرعة لتمسك بها. وجذبها نحوه ليضمها الى صدره.

- هل تشعرين بالتحسن؟

- أفضل بكثير.

- افتقدتك يا عزيزتي الغالية... كم افتقدتك.

نظرت اليه بحب، ثم أطرقت ناظرة الى يديه.

- ترى هل تقبل مني ملاحظة صغيرة؟.. هل تصدق اذا قلت اني افتقدتك كثيرا؟

قطب جبينه متسائلا:

- أقبل؟

- أعني هل تصدقني فعلا؟

تمتم بلطف:

- أصدقك يا جودي، نعم أصدقك.

ابتسمت حينئذ ورفعت يده امتناناً ولثمتها بشفتيها. فاعترض قائلا:

- جودي. يجب ألا تفعلي ذلك.

بقيت ابتسامتها كما هي لطيفة تدل على فرحها. وأحست بشعور من الالفة يسود الغرفة، جو يختلف تماما عن جو الغرفة الأخرى حيث قضت ليلتها وحيدة.

- سأفعل ذلك اذا أردت. شكراً يا فيداس لعدم كرهك اياي.

- أكرهك؟ كيف أستطيع ان أكرهك؟

- تصورت ذلك حين علمت بما فعله لك...

هز فيداس رأسه حتى قبل انهائها حديثها.

- كلا يا عزيزتي. اخبرتك الليلة الماضية انك منحتني الكثير. أحبك يا جودي وأنت تعلمين ذلك.

وأرادت القول بأنها تحبه، وتكرر ذلك مرات ومرات الا انها تراجعت عن الفكرة لعلمها بأنه لن يصدقها.

- فيداس، التقيت يوم امس بطبيب أخبرني بوجود احتمال لشفائك. احتمال ضئيل لعلاجك.

ساد الغرفة صمت عميق فسحبت جودي يدها من يد زوجها وابتعدت عنه... كانت حركة تلقائية اذ شعرت ان زوجها بحاجة للتفكير وحده. فوقفت الى جانب السرير ناظرة اليه.

- علاج؟ لا أعتقد اني أفهمك؟ من هو الطبيب؟ ولم لم يأت لفحصي؟ لم لم تذكري الأمر الليلة الماضية؟ وكيف ذهبت لرؤيته دون علمي؟

بدأت كلامها موضحة كل ما حدث... كان وجهه رمادياً وتشنجت يداه المستكانتان بغطاء السرير. وقالت بعد ان صمتت فترة طويلة:

- تستطيع الآن ان تفهم لماذا لم أخبرك مباشرة. شهران يا فيداس... اذا عرفت وفشل العلاج فانا...

وفجأة انهمرت دموعها...

- آسفة جداً... حاولت السيطرة على مشاعري.. شهران يا عزيزي. انهما طويلان وثمينان لكلينا سوية.

غادر فيداس فراشه واقترب منها ليضمّها بين ذراعيه.

- يا فتاتي الصغيرة. لا تبكي. اسمعي... آه يا عزيزتي... اغفري لي.

نظرت بعينيها من خلال دموعها باستغراب.

- أغفر لك؟ ماذا تعني؟

- هذه الكآبة، وخوفك لأننا قد نفقد الشهرين... شهران نعيشهما طويلين وثمينين. كيف شككت ولو لحظة واحدة بالعلاجات

حين أقسمت بحبك لي؟

ـ هل تصدقني؟

وملأها العجب ولم تصدق أذنيها.

ـ فيداس... هل تصدقني، أخيراً؟

وكجواب على سؤالها، قربها من صدره فسمعت دقات قلبه مختلطة بدقات قلبها. تألمت بامتنان لأنه صدقها...

تكلم بعد قليل بصوت حزين ولكنه عملي، قائلاً أنه سيبحث الأمر مع الدكتور فان ألدن أولاً ثم سيناقشان المسألة سوية ليكون القرار الأخير قراراً مشتركاً.

ـ يجب أن نفكر بعناية وحرص ونقرر سوية ما هو الأصلح.

ـ لن يكون الأمر سهلاً... الدكتور فان ألدن أصر على أن العلاج إما أن يكون ناجحاً تماماً أو فاشلاً ولا حل وسط بينهما.

أومأ فيداس إيجاباً ورأت معاناته واضحة فعرفت أنها من أجلها.

ـ دعينا ننسى الأمر الآن إلى ما بعد لقائي بالطبيب.

توجها إلى الشرفة لتناول الإفطار. ونجحا في الحديث عن أشياء أخرى تمضية للوقت. ثم اتصل فيداس بالطبيب داعياً إياه لمقابلته، فجاء بعد استلامه المكالمة الهاتفية فوراً، حيث قضى ليلته في فندق قريب، حجز غرفة فيه عند وصوله إلى كوراو.

تحدث إليهما سوية إلا أنه لم يضف شيئاً جديداً إلى ما ذكره لزوجها. سوى أنه استدار مبتسماً قبل مغادرته المكان، بعد تأكيد فيداس له بإبلاغه الجواب خلال أربع وعشرين ساعة، وقال لفيداس:

ـ أن زوجتك يا سيد ليروند أخبرتني كل شيء.

صمت فيداس وهو يحدق في وجهه فواصل الطبيب.

ـ أخبرتني بأنها تحبك بعمق دفعها إلى التخلي عن الثروة كلها ثمناً لسكوت حنة...

قاطعته جودي بحدة:

ـ دكتور فان ألدن... لم أسألك تكرار ما قلته لك.

ـ وأنك وزوجتك كنتما تعانيان من الجفاء إلى حد ما؟

قال الطبيب وكأنه لم يسمع احتجاج جودي:

ـ لا أستطيع وصف علاقتنا بتلك الطريقة.

فقال فيداس حين اعترضت جودي:

ـ لم أقل ذلك يا دكتور فان ألدن.

ـ ليس بالضبط... إلا أنني فهمت أنك شككت بحب زوجتك لك؟

أومأ فيداس وبدا لجودي تقلص عضلات عنقه لأنه ابتلع ريقه بصعوبة قبل الإجابة:

ـ أنك محق يا دكتور... كنت أحمق لأنني شككت بزوجتي... شكراً لإخباري عن ذلك.

توقف عن الكلام ونظر إلى جودي بحنان:

ـ أدركت غباء تفكيري صبيحة اليوم. وبعد مغادرة الطبيب التفتت جودي إلى زوجها وسألته خائفة:

ـ هل انزعجت، يا عزيزي، لإخباري إياه بكل التفاصيل؟ حدث ذلك بدون تفكير وبسبب القلق حينئذ، ثم أنه طبيب وقد وثقت به.

نظر إليها فيداس بحب وقال:

ـ يا عزيزتي، لماذا لم أستطع إدراك مشاعرك وفهمها على أنها نتيجة حبك لي فقط؟

ـ كان من الطبيعي شكك بموقفي. ولنكف عن التفكير الآن، فكل شيء على ما يرام بيننا... ما رأيك بالطبيب؟

ـ يبدو أنه انسان طيب، ولكن لا علاقة لذلك بقرارنا. يبدو أن نسبة نجاح المعالجة ضئيلة... ويجب أن نحسم الأمر ونختار. هل يستحق الأمر المجازفة؟ لا سيما وأن لدينا الآن أقل من شهرين. أنه وقت طويل...

ونظر اليها، الى وجهها الحبيب.

- نعم، انه وقت طويل.

وأوشكت على البكاء. من يدري، ربما يمكنهما ان يقضيا سنوات وسنوات طويلة معاً . . .

- أمامنا اليوم كله لنقرر. سنذهب الى مكان ما ونفكر ونتوصل الى القرار الحاسم قبل عودتنا.

ذهبا بالسيارة الى ساحل باليو كاستيريا حيث سبحا حتى فترة الغداء. وبعد ان تناولا الغداء في المقهى، سارا مبتعدين الى مكان هادىء. كان الوقت عصراً وواصلا سيرهما وحديثهما ساعات وساعات بلا توقف، حتى أحسّا فجأة بحلول الظلمة.

كان يوماً طويلاً، يوماً حاسماً حل فيه الخوف والأمل. . . الا انهما عادا اخيراً الى البيت بعد ان توصلا الى قرار.

أثينا المدينة المزدحمة بالفرح، نظرت اليها جودي من نافذة غرفتها في الفندق. . ملايين السيارات. . . قد يكون العدد أقل. الا ان هذا ما بدا لجودي. والضجة. . . نظرت الى ساعتها اليدوية. انها ليست السادسة صباحاً بعد. من أين جاءت كل هذه السيارات؟ والى أين تتوجه؟ رفعت عينيها ناظرة الى معبد أثينا العظيم، متألقاً تحت أشعة الشمس، فخوراً بموقعه في الاكروبولس. لا فائدة. لم تعد جودي قادرة على شغل ذهنها بأشياء أخرى. كان فيداس- حبيبها وزوجها- في المدينة، في المستشفى. منذ يومين. . . انه الوقت الحاسم. . . قد يكون. . وابتلعت ريقها وابتعدت عن النافذة الى غرفة النوم. هذا الانتظار الأبدي. . . يا له من انتظار مؤلم. ورن جرس الهاتف بعد ثلاث ساعات وأخبرتها عاملة الاستعلامات ان هناك نداء لها.

- شكراً. . .

وأصغت لصوت المتحدث. كان هادئاً واضحاً. وارتجفت يدها الممسكة بالسماعة. أرادت الاجابة. . الا انها لم تستطع النطق

شيء:

- يا سيدة نيرونة. . . هل ما زلت هناك؟

- نعم، ما زلت هنا.

- هل سمعت؟ بدأ زوجك بالاستجابة للعلاج. انتهت فترة الخطر. . . انه نائم الآن. الا انك تستطيعين زيارته، الساعة الثانية بعد الظهر.

- شكراً دكتور فان ألند.

ذلك كل ما استطاعت التلفظ به، اذ أحست بخواء غريب في داخلها.

- حاولي الحصول على بعض الراحة.

ولمست نبرة الانتصار في صوت الدكتور فأرادت الصراخ شاكرة اياه للتعبير عن امتنانها وتقديرها. . . ان تشكره مرات ومرات، الا انها كانت منهكة القوى فاكتفت بالقول:

- نعم، سأحاول الحصول على بعض الراحة. . .

وانتظرت مرة أخرى قبل ان تتوجه الى المستشفى، فدخلت الى غرفته ووجدته نائماً ومظهره كما كان عليه حين تركته منذ يومين ونصف.

ووضعت لها ممرضة يونانية مبتسمة كرسياً الى جانب السرير ثم تركت الغرفة. فتح عينيه ونظر اليها. . . وساد بينهما صمت طويل تبادلا فيه النظرات دون القدرة على قول شيء يوضح مشاعرهما.

بعد أقل من ثلاثة أسابيع، عاد فيداس الى البيت. وزارهما حينئذ والدها وجيليان. كان يبدو انه باع منزله ويخطط لبدء مشروع تجاري بالمشاركة مع جيليان. الا انهما قررا أولا قضاء عطلتهما في اليونان، عطلة كانت أسعد بكثير من الأولى. سألتهما عن مشاريعهما في المستقبل فأخبرها والدها انه سيحصل على الطلاق ويتزوج جيليان بعد ذلك.

- يبدو والدك أكثر شباباً من المرة السابقة.

علّق فيداس ذات مرة، بعد انتهائهم من تناول وجبة الطعام الليلية. وبقي فيداس مع جودي في الشرفة بينما بيل وجيليان يتمشيان في الحديقة.

أجابته بصوتها المرح:

ـ انه سعيد... لهذا يبدو اصغر سناً. وأنا سعيدة جداً يا فيداس، اذ ليس هناك غيمة واحدة تعكر عليّ أفق حياتي.

وبدا الحب العميق واضحاً في عينيها. فوقف ناهضاً عن كرسيه وجلبها نحوه. وردد بحب وهو يتنهد اعترافاً بجميلها وامتناناً لكل ما فعلته من أجله:

ـ ولا في حياتي أنا الآخر.

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 127

المجهول الجميل

المجهول جميل لأننا لا نعرف ما سيأتي به، اين، متى، وكيف.

قد يطلع علينا بكنز من لا مكان، او بحلم قديم كدنا ان ننساه، وها هو يتحقق بين ايدينا وتنمو له اجنحة. والمجهول يأتينا ايضاً بحب غير متوقع، بل هو غالباً ما يأتي بما لا نتوقع، كما حدث لجودي الفتاة الانكليزية الفقيرة التي كان كل همها في العالم يقتصر على ايجاد وظيفة عادية، وغرفة متواضعة تعيش فيها بعيداً عن زوجة ابيها التي لا تكف عن الشجار.

عن طريق الصدفة وجدت مصيرها يرتبط بمصير رجل كان يريد غيرها في الحقيقة، رجل ثري يملك اسطولاً من السفن ويعيش على حافة الغياب في جزيرته اليونانية الحالمة حيث لم تبق له الا اشهر قليلة يعيشها، ولا يريد ان يعيشها وحيداً. احبته بكل كيانها، ومع ذلك كانت هناك مسافة دائمة بينهما. اعطت كل شيء، ولكن الجدار الذي ارتفع منذ البداية كان يحجب احدهما عن الآخر. . .

والوقت يمر.

لبنان	٦٠٠ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	[illegible]
سورية	٦٠ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	[illegible]	U.K.	£1
الأردن	[illegible]	البحرين	[illegible]	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٠٠٠ بيزة	مصر	١٠٠٠ ق	Cyprus	P1500